الألفاظ الدالة
على
أمراض الصدر والقلب والفؤاد في القرآن الكريم

دراسة دلالية

بقلم
د/ أحمد علي محمود ربيع
١٤٣٥هـ/٢٠١٤م

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث الأمين، أكرم الخلق أجمعين سيدنا محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين وصحابته الغر الميامين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد ،،،

فإن ألفاظ القرآن الكريم هي عمدة الألفاظ وغرتها، وواسطة عقدها ودرتها ، كما أن معانيه هي أشرف المعاني وزبدتها، وجوهرها الغالي وذروتها ، كما بلغت أساليبه وتراكيبه حد الكمال نظما وإبداعا وإعجازا ، وصدق الله العظيم القائل : [الأعراف الأنفال التوبة يونس ❁ يوسف الرعد إبراهيم الحجر ❁ الإسراء الكهف مريم طه الأنبياء ❁ المؤمنون النور الفرقان](الشعراء الآيات ١٩٢ -١٩٥).

تكفل – سبحانه – بحفظه ، وتعهد بجمعه وبيانه ، فقال عز من قائل:" إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون " (الحجر آية ٩) وقال سبحانه " إن علينا جمعه وقرآنه فإذا قرآناه فاتبع قرآنه ثم إن علينا بيانه"(القيامة الآيات١٧-١٩)

دارت حوله الدراسات العديدة في شتى أنواع العلوم ومختلف المجالات، وما زال معينه عذبا ثرا لا ينضب ولا يغيض، ونفحاته تترى على كل وارد ومريد، وإشراقاته لا تتوقف عند حد، ولا تقتصر على فرد، بل يهب الله منها ما يشاء لمن يشاء في أي وقت شاء ، وما زال وسيظل منها المزيد .

وألفاظ القرآن حمالة أوجه، يجني الإنسان منها ما يفتح الله به عليه من معانيها ، ثم يفتح على غيره بما يشاء من معان يحتملها اللفظ ولا يختل بسببها السياق، فيدور البشر في فلكها ليجتلب من معينها ما يفتح الله به عليه منها ، وذلك فضله يؤتيه من يشاء.

من هذه الألفاظ ، الألفاظ الخاصة بصفات الصدر والقلب والفؤاد في القرآن، والتي تناثرت في سوره وآياته ، فكان منها صفات إيجابية تصف قلوب المؤمنين بالاطمئنان والتثبيت والشفاء والتأليف والشرح وغيرها من الصفات، وصفات سلبية تصف القلوب بالختم والطبع والقسوة والإباء والوجل والوجوف والإقفال وغيرها، وهي صفات تستحق الدرس والبحث من حيث الإحصاء والتصنيف والتحليل .

ولما كنت أتصور أن صفات القلب والصدر والفؤاد لا تتعدى أصابع اليدين، أو تزيد قليلا كانت النية منعقدة أن أدرس كل هذه الصفات دراسة دلالية، لكني لما استقصيت هذه الصفات وجدت أنها تزيد عن الستين صفة أو تقربها ، ولذلك آثرت أن أقتصر على الصفات الخاصة بأمراض القلب ، وهي صفات عديدة وصلت إلى اثنتين وأربعين صفة ، تنوعت من حيث المعنى ومن حيث الصيغة ، بعضها ورد مرة واحدة في القرآن، وبعضها ورد أكثر من مرة ، وبعضها جاء صفة للقلب ، وبعضها صفة للصدر ، وبعضها صفة للفؤاد .

ولما كان العلماء قد اختلفوا في تحديد المراد من القلب والصدر والفؤاد ، وهل ينوب كل واحد منها عن صاحبه في السياق القرآني؟ ، كانت العناية واجبة بالإجابة عن ذلك ، وموضع كل منها بالنسبة لصاحبه، وقد اقتضت طبيعة الدراسة أن تكون وفق نظرية الحقول الدلالية؛ لأنها مناسبة

لهذا النوع من الدراسة ، فقمت بتصنيف الألفاظ حسب المعاني، فقسمتها ثلاثة أقسام:

١- القسم الأول : ويمثله الحقل الخاص بأمراض القلب.

٢- القسم الثاني ويمثله الحقل الخاص بالغلق.

٣- القسم الثالث ويمثله الحقل الخاص بالخوف.

وقد بلغت ألفاظ الحقل الأول ستة وعشرين لفظا ، بينما بلغت ألفاظ الحقل الثاني تسعة ألفاظ في حين اقتصرت ألفاظ الحقل الثالث على سبعة فقط .

وقد استخدمت في هذا البحث المنهج الوصفي بأداتيه: التحليلية ، والإحصائية، مبرزا من خلال هذه الدراسة المعاني المحتملة لكل لفظ منها، والعلاقات التي تربط بين المعنى العام للمادة، ومعنى اللفظ داخل سياقاته المتعددة ، وأثر المجاز في تحديد معنى هذه الألفاظ ... إلخ .

وقد استعنت في تأصيل هذه الدراسة بكتب اللغة ومعاجمها وكتب التفسير والمعاني وغيرها من المصادر التي أفادت الباحث والبحث إفادة عظيمة.

لقد اقتضت طبيعة البحث أن يتكون من مقدمة وتمهيد وثلاثة مباحث وخاتمة، خصصت التمهيد للكلام عن القلب والصدر والفؤاد، وتناولت في المبحث الأول الألفاظ الخاصة بأمراض القلب المتنوعة، وفي المبحث الثاني تناولت الألفاظ الخاصة بأمراض الغلق ، وفي المبحث الثالث تناولت الألفاظ الخاصة بأمراض الخوف ، وفي الخاتمة تكلمت عن أهم النتائج التي توصل إليها البحث ، ثم أهم المراجع والمصادر التي استعنت بها في هذا البحث.

وفي النهاية هذا جهد المقل ، قدمت فيه ما فتح الله به علي، فإن كنت قد وفقت فبعون الله وتوفيقه وإن كان غير ذلك فحسبي الاجتهاد ، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب.

د / أحمد علي ربيع

تمهيد

القلب والفؤاد والصدر

ذكرت هذه الألفاظ الثلاثة في القرآن الكريم كثيرا ، وكان لكل منها أوصاف تتعلق بها، فترى القلب يوصف بالوجل، والخشية، والوجوف، والاطمئنان، وغيرها، كما يوصف الفؤاد بالتثبيت، والكذب، والفراغ، وكذلك يوصف الصدر بالشفاء ، والغل ، والغيظ ، وغير ذلك .

فهل هناك فرق بين القلب والفؤاد والصدر؟ أو أنها بمعنى واحد؟ وإذا كان بينها فروق، فهل هذه الفروق لاعتبارات معينة؟ وهل بينها عموم وخصوص أولا؟ وهل ينوب أحدها مكان صاحبه ؟ كل ذلك سنعرضه في السطور التالية:

أولا : القلب :

كان من أوائل من عرف القلب الخليل بن أحمد ، فقال : " القلب : مضغة من الفؤاد معلقة بالنياط، قال : [البسيط]

ما سُمِّيِ القَلبُ إلا من تَقَلبه والرَّأي يصرفُ والإنسانُ أطوارُ[1]

---

(١) العين للخليل بن أحمد ، تحقيق د/ مهدي المخزومي ، د / إبراهيم السامرائي ، مؤسسة الأعلمي، بيروت، طبعة أولى ١٤٠٨هـ . ١٩٨٨م، والبيت من شعر الأحوص ، وهو في ديوانه صـ ١٤٨ بلفظ "والأهواء أطوار" ، والديوان جمع وتحقيق عادل سليمان جمال . تقديم شوقي ضيف . الناشر الخانجي . الطبعة الثانية . ١٤١١هـ . ١٩٩٠م.

وجعله بعضهم من قلب الشيء وتصريفه من وجه إلى وجه ، وسمى القلب بذلك لكثرة تقلبه[1] ، في حين جعله البعض الآخر من الشيء الخالص الشريف، يقول ابن فارس: " القاف واللام والباء أصلان صحيحان: أحدهما: يدل على خالص شيء وشريفه، والآخر: على رد شيء من جهة إلى جهة، فالأول القلب، قلب الإنسان وغيره، سمي بذلك؛ لأنه أخلص شيء فيه، وأرفعه، وخالص كل شيء وأشرفه قلبه" [2].

وعرفه مجمع اللغة العربية تعريفا علميا مبنيا على حقائق طبية فسيولوجية ، ففي المعجم الوسيط: " القلب عضو عضلي أجوف، يستقبل الدم من الأوردة ويدفعه في الشرايين، قاعدته إلى أعلى معلقة بنياط في الجهة اليسرى من التجويف الصدري " [٣] .

وفسره بعضهم بالفؤاد، يقول ابن سيده: " القلب: الفؤاد، مذكر، والجمع أقلب وقلوب" [٤] ، وكذلك فسره به الجوهري في الصحاح [٥] .

---

[١] المفردات للراغب ، دار المعرفة ، طبعة ثانية ١٤٢٠ هـ . ١٩٩٩م ص ٤١١، ٤١٢ .

[٢] مقاييس اللغة لابن فارس، تحقيق عبد السلام هارون ، دار الجيل، طبعة أولى١٤١١هـ . ١٩٩١م ٥ /١٧٠، واللسان "ق ل ب ".

[٣] المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفي وآخرون تحقيق مجمع اللغة العربية ، دار الدعوة ٢/ ٧٥٣ ، والمعجم الوجيز ص ٥١١.

[٤] اللسان "ق ل ب ".

[٥] الصحاح للجوهري تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، طبعة ثالثة ١٤٠٤ هـ . ١٩٨٤م ١/ ٢٠٤ .

من هنا يتضح أن القلب قد فسر عدة تفسيرات ، فهو مضغة من الفؤاد ، أو الفؤاد نفسه ، أو هو خالص الشيء وأشرفه ، أو هو الذي يتحول من وجه إلى وجه ، وسمي بذلك لكثرة تقلبه ، أو هو العضو العضلي الذي يسكن في الجانب الأيسر من الصدر ، يقوم بوظيفة ضخ الدم في الشرايين ... إلخ .

يقول الكفوي :" سمي المضغة الصنوبرية قلبا؛ لكونه أشرف الأعضاء لما فيه من العقل، وسرعة الخواطر والتكون في الأحوال، ولأنه مقلوب الخلقة والوضع كما يشهد به علم التشريح " [١].

وربما يقصد بعبارة (كما فيه من العقل) أنه يقلب الأمور ويصرفها من وجه إلى آخر.

ثانيا : الفؤاد:

يرى ابن فارس أن الفاء والألف والدال أصل صحيح يدل على حُمَّى وشدة حرارة من ذلك: فأدت اللحم : شويته ... ومما هو من قياس الباب عندنا الفؤاد، سمي بذلك لحرارته" [٢]، وإلى هذا ذهب الأزهري وابن منظور

---

[١] الكليات للكفوي ص ٦٩٦.

[٢] المقاييس ٤ /٤٦٩(ف أ د).

[١] ، وجعله الراغب كالقلب، ثم قال: "لكن يقال له فؤاد إذا اعتبر فيه معنى التفؤد، أي: التوقد، يقال: فأدت اللحم : شويته ، ولحم فئيد : مشوي"[٢] .

وفسره بعضهم بالقلب، يقول الجوهري: " والفؤاد : القلب ، والجمع أفئدة"[٣]، وجعله بعضهم أخص من القلب، فقال:" والفؤاد: القلب، وقيل وسطه"[٤]، وبعضهم جعله أعم منه، فقال : " الفؤاد: غشاء القلب، والقلب حبته وسويداؤه "[٥]، وفي قول النبي صلى الله عليه وسلم: " أتاكم أهل اليمن، هم أرق قلوبا، وألين أفئدة " قال بعضهم:" فوصف القلوب بالرقة، والأفئدة باللين، وكأن القلب أخص من الفؤاد في الاستعمال، ولذلك قالوا: أصبت حبة قلبه ، وسويداء قلبه"[٦]، وبعضهم جعلهما قريبين من السواء، وعلل لذكرهما معا في الحديث مع اختلاف لفظيهما من باب التأكيد[٧]، ويروي لنا الأزهري أن اختلاف اللفظ جاء من قبيل اختلاف اللهجات، مع

---

[١] ينظر تهذيب اللغة ١٤ / ١٩٦ " فأد" ، واللسان "فأد ".

[٢] المفردات ص ٣٧٢ "فأد " ، وانظر التوقيف على مهمات التعاريف للمناوي ص ٢٦٤.

[٣] الصحاح ٢ / ٥١٧ ، والنهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير دار الكتب العلمية طبعة أولى، ١٤١٨ هـ . ١٩٩٧م، ٣٦٣/٣ "فأد " واللسان " فأد ".

[٤] النهاية ٣/ ٣٦٣ ، واللسان " فأد ".

[٥] السابقان والصفحات ذاتها ، والكليات ص ٦٩٦ .

[٦] اللسان"قلب"، وانظر النهاية لابن الأثير٨٤/٤ وفيه:"وهو أخص من الفؤاد في الاستعمال.

[٧] السابقان والصفحات ذاتها .

أن المعنى واحد، فقال:"ورأيت من العرب من يسمي لحمة القلب بشحمها وحجابها قلبا، وبعضهم يسمونه فؤادا".

ثم يرجح أن القلب أخص فيقول :" ولا أنكر أن يكون القلب هي العلقة السوداء في جوفه _ والله أعلم _ لأن قلب كل شيء لبه وخالصه"[١] .

من هنا يتضح أن بعض العلماء لاحظ فيه معنى التفؤد، وحكم بتسميته فؤادا لذلك، وبعض العلماء ساوى بينهما، وبعضهم جعلهما قريبين، وبعضهم جعل بينهما عموما وخصوصا، وبعضهم جعل ذلك من قبيل الخلاف اللهجي... إلخ.

لكن لما كان العلم الحديث لم يثبت موضعا خاصا بالفؤاد في الجسم، وفسره المحدثون بالقلب، فإننا نرجح أن من لاحظ سرعة تقلب هذا العضو سماه قلبا، أو أنه خلاصة الإنسان وأشرف عضو فيه، ومن لاحظ فيه معنى التفؤد، والتوقد، وسرعة التفاعل مع الأحداث سماه فؤادا، وهذا عين ما قاله الراغب في تفسيره السابق لكلا اللفظين، ومن تأمل النصوص القرآنية رأى أنه مركز الإحساس والشعور، وموطن الخوف والقلق والتثبيت والإصغاء والميل ...إلخ.

ثالثا : الصدر :

الصدر: أعلى مقدم الشيء، يقال: صدر النهار والليل، وصدر الشتاء والصيف وكل ما واجهك فهو صدر، وصدر الإنسان منه، وجمعه

---

[١] تهذيب اللغة ٩/ ١٧٣.

صدور[١]. "وصدر كل شيء أوله "[٢] لقد جعله الراغب الأصل المعنوي للمادة؛ فقال: "الصدر الجارحة، قال: رب اشرح لي صدري " ثم استعير لمقدم الشيء ، كصدر القناة، وصدر المجلس، والكتاب، والكلام"[٣] ، والصدر : هو المحل الذي يسكنه القلب ، في أعلى الجانب الأيسر منه ، ولهذا قال سبحانه وتعالى: " فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور" [٤] ، وجاء في القرآن بمعنى القلب ، فقال تعالي:" ونزعنا ما في صدورهم من غل " [٥] وذلك لأنه محل له، ومنه أيضا قوله تعالى: " فلعلك تارك بعض ما يوحى إليك وضائق به صدرك "[٦] من هنا ندرك العلاقة بين الصدر والقلب ، وحلول أحدهما محل الآخر في السياق القرآني في مواضع متعددة من كتاب الله سبحانه.

ويبين الحكيم الترمذي أن المسميات الثلاثة (الصدر – القلب – الفؤاد) مسميات متلازمة بينها عموم وخصوص ، فالصدر أعم من القلب وهو محله، والقلب أعم من الفؤاد ، وهو محله أيضا ، فالصدر كصحن الدار الذي هو أول موضع منها ، والقلب داخل الصدر ، كسواد العين الذي هو داخل العين، وكالبيت داخل الدار ، فالصدر للقلب كالميدان للفارس ،

---

[١] ينظر التهذيب ١٣٣/١٢ "صدر "، واللسان "صدر ، والقاموس المحيط للفيروز آبادي دار الحديث القاهرة ٨٦/٢ .

[٢] الصحاح للجوهري٢ / ٧٠٩.

[٣] المفردات ص ٢٩٧ "صدر".

[٤] الحج آية ٤٦.

[٥] الأعراف آية ٤٣.

[٦] هود آية ١٢.

والفؤاد في وسط القلب ، كما أن القلب في وسط الصدر ، ومثل الفؤاد في القلب كمثل الحدقة في العين ، وكمثل الخزانة في البيت[١].

إن الحكيم الترمذي يرى أن كل واحد من الثلاثة موطن لصفات معينة، فالصدر موضع دخول الغل والشهوات ، والمنى والحاجات ، وأنه يضيق أحيانا وينشرح أحيانا، وهو موضع ولاية النفس الأمارة بالسوء، ولها فيه مدخل، وتتكلف أشياء ، وتتكبر ، وتظهر القدرة من نفسها ، وهو موضع نور الإسلام.. وإنما سمي صدرا ؛ لأنه صدر القلب وأول مقامه ، كصدر النهار الذي هو أوله ، أو كصحن الدار الذي هو أول موضع منها ، ويصدر منه وساوس الحوائج، وفكر الأشغال تصدر منه إلى القلب أيضا إذا استقرت وطالت المدة[٢].

كما جعل القلب معدن نور الإيمان ونور الخشوع والتقوى والمحبة والرضا واليقين والخوف والرجاء والصبر والقناعة... والفؤاد موضع المعرفة، وموضع الخواطر، وموضع الرؤية، وكلما يستفيد الرجل يستفيد فؤاده أولا، ثم القلب [٣].

وجعلها ـ أي المسميات الثلاثة ـ متداخلة بعضها في بعض ، متعاونة فيما بينها قريبة من بعضها، فيقول:" وكل واحد من هذه الأشياء الخارجية

---

[١] ينظر بيان الفرق بين الصدر والقلب والفؤاد واللب المنسوب لأبي عبد الله محمد بن علي الحكيم الترمذي ، أعده للنشر وقابله بالأصل د/ يوسف وليد مرعي ، مؤسسة آل البيت الملكية للفكر الإسلامي عمان ٢٠٠٩ ص ١، ٢ ،٣ ، ٤.

[٢] السابق ص ٢ ،٣ .

[٣] السابق ٣ ، ٤ .

وقاية وستر للذي يليه من الداخل، وكل واحد يشاكل الباقيات الآخر، فهي أشكال متعاونات قريبة بعضها من بعض، موافقات غير مخالفات " [١].

أما الكفوي فوسع دائرة القلب، وجعلها طبقات، كل طبقة منها محل لشيء معين، فجعل الصدر طبقة، وكذلك القلب، والشغاف، والفؤاد، وحبة القلب، وسويداءه ، ومهجته ، يقول : " وقيل : للقلب سبع طبقات : الصدر ، وهو محل الإسلام ، ومحل الوسواس ، ثم القلب، وهو محل الإيمان ، ثم الشغاف ، وهو محل محبة الخلق ، ثم الفؤاد ، وهو محل رؤية الحق ، ثم حبة القلب ، وهو محل محبة الحق ، ثم السويداء ، وهو محل العلوم الدينية ، ثم مهجة القلب ، وهي محل تجلي الصفات[٢].

والمتأمل في كلام الكفوي يرى أن بعض هذه الطبقات قد استنبط صفاتها من سياق النص القرآني ، فقد ورد في الصدر قوله تعالى :" فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا" [٣] **، وقوله تعالى: " الذي يوسوس في صدور الناس من الجنة والناس**[٤]**" ، وورد في القلب " أولئك كتب في قلوبهم الإيمان**[٥]**" ، وفي الفؤاد ورد قوله تعالى :" ما كذب الفؤاد ما رأى** [٦]**" ، أما الشغاف فقد**

---

[١] السابق ص٤ .

[٢] الكليات ص٦٩٦ .

[٣] الأنعام آية ١٢٥.

[٤] الناس الآيتان ٥ ، ٦.

[٥] المجادلة آية ٢٢.

[٦] النجم آية ١١.

استنبط ذلك من قوله تعالي: " قد شغفها حبا[١]" أما المهجة والسويداء فهي أمور اجتهادية لم يقطع في متعلقاتها برأي، ولم يرد من النصوص ما يؤيد ما ذهب إليه الكفوي في ذلك.

لكنك حينما تتأمل النص القرآني ترى أن القلب قد وصف أيضا بالطبع ، وبالختم والإقفال والمرض والران والقسوة والعمى، كما وصف بالوجل والوجوف والخشية، والاطمئنان والسكينة ، فليس قاصرا على نوع واحد، وليس محلا للإيمان فقط، أما الصدر فقد وصف بالشرح كما وصف بالضيق، يقول تعالي:"ألم نشرح لك صدرك[٢] "، ووصف الفؤاد بالفراغ ، قال تعالى :

" وأصبح فؤاد أم موسى فارغا[٣]" ، وبالهواء قال تعالى : "وأفئدتهم هواء[٤]" ، وبالتثبيت ، قال تعالى : "كذلك لنثبت به فؤادك[٥]".

ومن هنا ترى أن قصر الصدر على الإسلام والقلب على الإيمان والفؤاد على المعرفة ليس في محله ، بل تعدى كل منها ما قصره عليه الكفوي ، هذا بالنسبة لصفات كل من الصدر والقلب والفؤاد ، وما يحويه كل منها .

ويرى الغزالي أن القلب يطلق على أمرين :

---

[١] يوسف آية ٣٠.

[٢] الشرح آية ١.

[٣] القصص آية ١٠.

[٤] إبراهيم آية ٤٣ .

[٥] الفرقان آية ٣٢.

أولهما : تلك المضغة الصنوبرية التي أودعها الله في جوف الإنسان، وثانيهما : تلك اللطيفة الروحانية التي لا يعلم أحد بحقيقتها [١].

وهذا خلط واضح بين القلب والروح ، حيث إن أحدهما عضو مادي له محل في جسم الإنسان معلوم ، أما الآخر فهو أمر خفي لا يدركه الإنسان بحواسه ولكن يؤمن به غيبا كما أمر بذلك ، عملا بقوله تعالي: " ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلا [٢]" .

تعقيب :

بعد استعراضنا للألفاظ الثلاثة يتضح ما يلي :

أن القلب أعم من الفؤاد ، فالفؤاد مركز المشاعر والإحساس منه ، ويسيطر عليه القلب إذا حدث له خوف أو هياج ، يؤكد ذلك قوله تعالى : " وأصبح فؤاد أم موسى فارغا إن كادت لتبدي به لولا أن ربطنا على قلبها[٣]" ، والفؤاد أُثبت للبشر ولم يثبت للبهائم، والصدر أعم من القلب ؛ لأنه محله وموطنه ، لقوله تعالى : " فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور[٤]" ، وتجد للصدر صفات في القرآن، منها

---

[١] انظر إحياء علوم الدين٣/٥، وقارن بمنهجية التفكير العلمي في القرآن الكريم خليل الحيدري ص ٥٤.

(٢) الإسراء آية ٨٥.

[٣] القصص آية ١٠.

[٤] الحج آية ٤٦.

الانشراح ، " فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام [١]"، وكذلك قوله:" ولكن من شرح بالكفر صدرا [٢]" وهو محل الوسوسة : " الذي يوسوس في صدور الناس [٣]" ، ومحل الضيق " ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا " ، ومحل الحوائج " ولكم فيها منافع ولتبلغوا عليها حاجة في صدوركم [٤]" ، " ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا[٥]" ، ومحل الكبر أيضا "إن في صدورهم إلا كبر ما هم ببالغيه[٦]" ، ومحل الغل "ونزعنا ما في صدورهم من غل[٧]"، وهو من صفات القلب أيضا "ولا تجعل تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا [٨]" ، وهذا يدل على أن أحدهما يقوم مقام صاحبه، والصدر محل الرهبة كذلك "لأنتم أشد رهبة في صدورهم [٩]" ، ومحل لما يستشفى منه، والشفاء في الآية الأولى (القرآن) ، وفي الآية

---

[١] الأنعام آية ١٢٥ .

[٢] النحل آية ١٠٦.

(٣) الناس آية ٥.

(٤) غافر آية ٨٠.

(٥) الحشر آية ٩.

(٦) غافر آية ٥٦.

(٧) الأعراف آية ٤٣.

(٨) الحشر آية ١٠.

(٩) الحشر آية ١٣.

الثانية النصر،" قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور [١]" ، " ويشف صدور قوم مؤمنين [٢]".

"وخلاصة ذلك أن الصدر يحوط بالقلب .. وهو موضع نور الإسلام وموضع حفظ العلم المسموع من أحكام وأخبار ، وموضع دخول الغل والشهوات والمنى والحاجات وهو يضيق حرجا، وينشرح أحيانا، وموضع ولاية النفس الأمارة بالسوء ودخول الوساوس وآفات الخواطر[٣] " .

<u>أين يوجد القلب ، وهل يأتي بمعنى العقل ؟</u>

لقد ورد القلب في القرآن إفرادا وجمعا وضميرا مائة واثنتين وثلاثين مرة ، كما ورد الصدر إفرادا وجمعا وضميرا أربعا وأربعين مرة، بعضها يعود على القلب.

ويرى بعض الباحثين أن القلب يأتي بمعنى العقل، وذلك الغالب الأعم في النص القرآني ، لكنه قد يأتي بمعناه الحقيقي ، وهو الجارحة التي تحل في صدر الإنسان ، وقد جاء في آية واحدة هي قوله تعالي: " أفلم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور " ، وجعل هداية الدلالة للقلب الذي في الرأس ، وهداية التوفيق أو القبول للقلب الذي في

---

(١) يونس آية ٥٧.

(٢) التوبة آية ١٤.

[٣] من مقالة للدكتور بلبل عبد الكريم على شبكة التواصل الاجتماعي بتاريخ ٢٠٠٩/١٢/١٣ ص ٢٦.

الصدر ، وسمي الذي في الصدر قلبا لأنه كثير التقلبات من خير إلى شر، ومن حسد إلى حب، ومن إيمان إلى كفر، ومن عفاف إلى شهوات بذيئة، أما الذي في الرأس فسمي بذلك؛ لأنه يقلب الحقائق ، وتقلب عليه الحقائق، فأحيانا يرى الحق باطلا والباطل حقا [١] .

في حين يرى الدكتور زغلول النجار أن القلب واحد ، وهو الذي في الصدر، وله وظائف متعددة فهو الذي يكسب الأعمال خيرها وشرها، وهو مكان الاطمئنان والأمن، أو الانزعاج والخوف والرعب، وهو محل الشهادة أو إنكارها، ومحل الخير أو الإثم، ومحل الهداية أو الزيغ، وهو محل الفهم والفقه، أو سوء الفهم واللبس، وهو محل الرقة واللين، أو القسوة والغلظة، وهو محل اليقين أو الريبة، والإيمان أو الكفر، واليقظة أو الغفلة، وهو محل التعقل ووزن الأمور أو تضييعها، ومحل البصيرة أو العمى ، ومحل السلامة أو الحقد ، ومحل القصد والعمد أو العشوائية والارتجال، وهو محل الخشية والإنابة أو التبجح في المعصية والغي، ومحل التذكر والفطنة أو النسيان والغفلة ، ومحل المحبة والرحمة والرأفة أو الكراهية والغل والقسوة ، ومحل الهداية أو الضلال[٢].

ولا شك أن الصلة بين القلب والمخ موجودة ، وأن هذا التواصل دائم ومستمر وذلك عبر ٤٠٠٠٠ ألف خلية عصبية تم اكتشافها فيه وفي

---

[١] من مقالة للدكتور بليل عبد الكريم على شبكة التواصل الاجتماعي بتاريخ ٢٠٠٩/١٢/١٣ ص٢٦.

[٢] القلب في القرآن الكريم د/ زغلول النجار مقال منشور على شبكة التواصل الاجتماعي ص١ .

الغشاء المحيط به ، كذلك يفرز القلب كما كبيرا من الهرمونات عبر تيار الدم إلى جميع أجزاء الجسم وأولها المخ، ويبلغ المخطط الكهربائي للقلب أكثر من مائة ضعف المخطط الكهربائي للمخ، وتبلغ الطاقة المغناطيسية للقلب في كل نبضة ينبضها خمسة آلاف ضعف الطاقة التي يبلغها المخ، والقلب يتواصل مع المخ وينسق معه جميع أنشطته، ويعمل القلب كجهاز تخزين للمعلومات عن طريق التغذية كما يفعل المخ عبر كل من الشبكات العصبية والدموية [١].

لقد أثبت الأطباء في جامعة بيل الأمريكية ومعهد هارتمان بولاية كاليفورنيا أن القلب به جهاز عصبي يشبه المخ تماما، له ذاكرة قصيرة وطويلة المدى، فقد نتج عن عمليات زرع القلب أن القلب المنقول يأخذ معه من الذكريات والمواهب والعواطف والمشاعر والهوايات والسجايا والتفصيلات الخاصة بالشخص الذي أخذ منه القلب، والتي تبدو غريبة كل الغرابة عن صفات الشخص الذي تم نقل القلب إليه.

ويفهم مما سبق أن القلب يتحكم في المخ أكثر من تحكم المخ فيه ، ويرسل إليه المعلومات أضعاف ما يتلقى منه [٢].

كل ذلك يبين أن القلب واحد، وأنه العضو الصنوبري الموجود في صدر الإنسان، وأنه مركز التعقل والتفقه، وأنه مركز الشعور والإحساس وموطن القسوة والغل والحسد والرقة والغلظة والوجل والخوف والخشية وغيرها من الصفات التي نسبها القرآن له.

---

[١] انظر السابق ص٣ .

[٢] السابق ص٤.

أما الفؤاد فقد ورد ذكره في القرآن في نحو خمسة عشر موضعا ، منها ما يفيد تقليب الأفئدة ، " ونقلب أفئدتهم وأبصارهم " الأنعام/١١٠ ، ومنها ما يفيد إصغاءها " ولتصغى إليه أفئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة " الأنعام/١١٣ ، ومنها ما يختص بالتثبيت: " وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك" هود/١٢٠ والفرقان/٣٢، ومنها ما يختص بالميل إلى الشيء: " فاجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم" إبراهيم/٣٧، ومنها ما يتعلق بشدة الخوف "وأفئدتهم هواء" إبراهيم/٤٣، ومنها ما يختص بنعمة الخلق: "وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة" الملك/٢٣، والنحل/٧٨، والسجدة/٩، والأحقاف/٢٦، والمؤمنون /٧٨ ، ومنها ما يختص بمسئولية هذا العضو : " إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا " الإسراء/٣٦، ومنها ما يختص بعدم الكذب: " ما كذب الفؤاد ما رأى " النجم/١١، ومنها ما يختص باطلاع النار عليها " التي تطلع على الأفئدة " الهمزة/٧ ، ومنها ما يختص بشدة القلق والخوف " فأصبح فؤاد أم موسى فارغا" القصص/١٠.

لقد اقترن ذكره بحاستي السمع والبصر في ستة مواضع من القرآن، وبالبصر وحده في موضع واحد، وجاء منفردا في ثمانية مواضع ، فحينما يقترن بهما يأتي في موضع المن على الناس:" وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلا ما تشكرون" السجدة/٩ مما يجعلنا نصنفه من جملة حواس الإنسان، لكنها ظاهرة، وهو خفي.

وجاء الفؤاد جمعا في عشرة مواضع، ومفردا في خمسة ، ولم يأت في مقابل القلب إلا مرة واحدة في سورة القصص، يقابلها مرة في الحديث النبوي حين ذكره لأهل اليمن بأنهم" ألين قلوبا وأرق أفئدة " .

ويفهم من العرض السابق أن الفؤاد محله القلب، وأنه جزء منه، يختص ببعض الأشياء التي تميزه، كالإحساس والرقة والميل وغيرها ، ويشترك مع القلب في صفات فلكليهما صفة التقلب، منها قوله تعالى: "ونقلب أفئدتهم" الأنعام/١١٠ وقول الرسول صلى الله عليه وسلم: " يا مقلب القلوب ثبت قلبي على طاعتك"[١] وقوله تعالى: " تتقلب فيه القلوب والأبصار" النور/٣٧، وقد يحل كل من الثلاثة محل صاحبه في سياق من السياقات.

أولا : الحقل الدلالي الدال على الأمراض القلبية:

يقصد بهذا الحقل ذلك المعنى العام الذي يندرج تحته مجموعة من الألفاظ الدالة على المرض، وبينها فروق في الدلالة على هذا المعنى في النص القرآني.

ولاشك أن هناك مجموعة من العلاقات بين مفردات هذه المجموعة ستظهر ـ بإذن الله تعالى ـ من خلال التحليل، وإذا كانت هذه الألفاظ قد اصطلح عليها علماء الأخلاق بأنها أمراض، فقد جعلنا هذا اللفظ رأس الحقل، ومركز دائرته ، وبالتالي سنبدأ الكلام عنه في السطور التالية.

أولا : المرض :

كانت البداية مع هذا اللفظ ؛ لأنه يمثل المعنى العام لهذا الحقل، فالمقصود بالمرض، كل عرض من الأعراض التي تنتاب القلب فتؤثر فيه

---

[١] مسند الإمام أحمد/ تحقيق شعيب الأرناؤوطي وآخرين . طبعة مؤسسة الرسالة . طبعة أولى- ٢٠٠١، ١٧٨/٢٩.

سلبا، وهي مجموعة الصفات الخُلُقيَة، كالحقد والغل والغيظ والقسوة وغيرها .

والمرض: هو الخروج عن حد الاعتدال في كل شيء ، يقال رجل مريض: أي معتل، وقلب مريض :أي فيه شك ونفاق، وشمس مريضة: خفت نورها، وليلة مريضة : مظلمة ، لم يظهر فيها نجم ولا قمر ، يقول الشاعر[البسيط]:

ولـيلة مرضـت من كل ناحـية

فـلا يضيء لـها نـجم ولا قـمر [١]

يقول ابن القيم : " ومرض القلب : خروجه عن صحته واعتداله، فإن صحته أن يكون عارفا بالحق محبا له، مؤثرا له على غيره ، ومرضه إما بالشك فيه ، وإما بإيثاره غيره عليه، فمرض المنافقين مرض شك وريب ، ومرض العصاة مرض غي وشهوة، وقد سمي الله كلا منهما مرضا" [٢] .

إن المتأمل للكلمة "مرض" يرى أن العلماء قد اختلفوا في تحرير أصلها المعنوي، فهي إما أن تكون "مشتقة من المُرَاض، وهو داء يقع في الثمرة

---

[١] ينظر المقاييس ٥/ ٣١١ "مرض " ، وتهذيب اللغة ١٢/ ٣٥ "مرض " ، والمفردات ص ٤٦٩ ، واللسان مرض، والبيت لأبي حية النميري كما في نهاية الأرب في فنون الأدب، (٧/ ٤٦) ، وفي بصائر ذوي التمييز ٤٩٣/٤، وليس البيت في ديوانه المطبوع بجمع يحيى الجبوري– منشورات دار الثقافة– دمشق– ١٩٧٥م.

[٢] التفسير القيم لابن القيم، جمعه محمد أويس اعتنى به أحمد بن شعبان بن أحمد مكتبة الصفا طبعة أولى ١٤٢٩هـ ٢٠٠٨ م ص١١١.

فتهلك [١]، وهو رأي مقبول ؛ لأن مرض الجسم داء ، ومرض القلب داء .. وهكذا .

وإما أن تكون من إظلام الطبيعة واضطرابها بعد صفائها ، والمرض على هذا بمعنى الظلمة [٢] .

ويرى ابن الأنباري أن أصل المرض في اللغة الفساد ، يقال : مَرِض فلان : فسد جسمه وتغيّرت حالته ، ومرضت الأرض : تغيرت وفسدت ، قالت ليلي الأخيلية [الطويل] :

إذا هبط الحجاج أرضـــا مريضة

تتبع أقصى دائها فشفاهـــا (٣)

ويرى ابن الأعرابي أن أصله النقصان "فيقال: بدن مريض: ناقص القوة، وقلب مريض: ناقص الدين ".[٤]

وجعله ابن عرفة من الفتور، فهو في القلب فتور عن الحق ، وفي الأبدان فتور الأعضاء ، وفي العين فتور النظر ، وجعل من الأول قوله

---

[١] انظر النهاية في غريب الحديث والأثر ٢٧٣/٤ "مرض " .

[٢] انظر تهذيب اللغة ٢٣ / ٣٥ "مرض " واللسان " مرض ".

[٣] التفسير القيم لابن القيم ص١١١ ، وشفاء الغليل له ص٩٢، وينظر ديوان ليلي الأخيلية ص ٨٨، طبعة دار المعرفة . بيروت . لبنان . الطبعة الثانية . ٢٠٠٣م . ١٤٢٤هـ . تحقيق وشرح واضح الصمد.

[٤] اللسان " مرض" .

تعالى :" فيطمع الذي في قلبه مرض " أي : فتور عما أُمر به ونهي عنه[١].

ويقول أبو جعفر:" أصل المرض السقم ، ثم يقال ذلك في الأجساد والأديان ، فأخبر الله جل ثناؤه أن في قلوب المنافقين مرضا" [٢] . ويقصد بذلك فساد ما في قلوبهم من الاعتقاد . وقسمه الراغب قسمين : الأول جسمي ، ومثل له بقوله تعالى: " ولا على المريض حرج [٣]" والثاني عبارة عن الرذائل الخلقية ، ومثل له بقوله تعالى :" في قلوبهم مرض[٤]" _ " أفي قلوبهم مرض أم ارتابوا[٥]" _ " وأما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجسا إلى رجسهم[٦]" _ " فيطمع الذي في قلبه مرض"[٧].

وأجمل ابن القيم المرض في أربعة من الأمور السابقة، فقال : "والمرض يدور على أربعة أشياء : فساد وضعف ونقصان وظلمة، ومنه: مَرِض الرجل في الأمر : إذا ضعف فيه ولم يبالغ ، وعين مريضة النظر أي فاترة ضعيفة ، وريح مريضة : إذا هبَّت هبوبها ... ثم الشك والجهل

---

[١] السابق "مرض " والبحر المحيط ١ / ٨٦ .

[٢] جامع البيان في تأويل القرآن للطبري –٢٧٨/١– تحقيق الشيخ أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة – طبعة أولى ١٤٢٠هـ ٢٠٠٠م ٢٧٨/١.

(٣) الفتح آية ١٧.

(٤) البقرة آية ١٠.

(٥) النور آية ٥٠ .

(٦) التوبة آية ١٢٥.

[٧] المفردات ص ٤٦٩ ، والأحزاب آية ٣٢.

والحيرة والضلال وإرادة الغي وشهوة الفجور في القلب تعود إلى هذه الأمور الأربعة ، فيتعاطى العبد أسباب المرض حتى يمرض فيعاقبه الله بزيادة المرض"[١] .

هل دلالة المرض حقيقية أو مجازية؟

يرى الراغب أن دلالة المادة على المرض القلبي جاءت عن طريق التشبيه ، فقال: " ويشبه النفاق والكفر ونحوهما من الرذائل بالمرض ، إما لكونها مانعة عن إدراك الفضائل كالمرض المانع للبدن عن التصرف الكامل ، وإما لكونها مانعة عن تحصيل الحياة الأخروية المذكورة في قوله : " وإن الدار الآخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون " العنكبوت/٦٤، وإما لميل النفس بها إلى الاعتقادات الرديئة ميل البدن المريض إلى الأشياء المضرة، ولكون هذه الأشياء متصورة بصورة المرض قيل دَوِيَ صدر فلان ونَغِل قلبه أي ضَغِن، وقال عليه الصلاة السلام : "وأي داء أدوأ من البخل "[٢] وجعله القرطبي استعارة للفساد الذي في عقائدهم[٣]، وقال ابن عاشور: "وهو مجاز في الأعراض النفسانية العارضة للأخلاق البشرية عروضا يخرجها عن كمالها"[٤].

---

[١] شفاء الغليل ص ٩٨ ،٩٩ .

[٢] المفردات ص ٤٦٩، وغريب الحديث للخطابي تحقيق عبد الكريم الغرباوي، دار الفكر طبعة ١٩٨٢م، ٣/٢٥٤، ٣/٣٦٧.

[٣] ينظر الجامع لأحكام القرآن، دار الكتب المصرية طبعة ثانية ١٣٨٤هـ ١٩٦٤م١/١٩٧.

[٤] التحرير والتنوير لابن عاشور الدار التونسية للنشر ١٩٨٤ م ١/ ٢٧٨ . ٢٧٩ .

أما الزمخشري فردده بين الأمرين _ الحقيقة والمجاز _ فالحقيقة أن يراد الألم ، كما تقول في جوفه مرض ، والمجاز أن يستعار لبعض أعراض القلب ، كسوء الاعتقاد والغل والحسد والميل إلى المعاصي والعزم عليها واستشعار الهوى والجبن والضعف "[١] .

وقيل المرض: الألم، فيكون على هذا مستعارا للفساد الذي في عقائدهم، إما شكا ونفاقا أو جحدا وتكذيبا[٢]، وكذلك يردده أبو حيان بين الحقيقة والمجاز؛ فيقول: "ويحتمل أن يراد بالمرض الحقيقة، وأن المرض الذي هو الفساد أو الظلمة أو الضعف أو الألم كائن في قلوبهم حقيقة، وسبب إيجاده في قلوبهم هو ظهور الرسول وأتباعه وفشوّ الإسلام ونصر أهله، ويحتمل أن يراد به المجاز، فيكون قد كني به عما حل القلب من الشك، قاله ابن عباس، أو عن الحسد والغل، كما كان عبد الله بن أبي بن سلول، أو عن الضعف والخور لما رأوا من نصر دين الله وإظهاره على سائر الأديان، وحمله على المجاز أولى؛ لأن قلوبهم لو كان فيها مرض لكانت أجسامهم مريضة بمرضها، أو كان الحمام عاجلهم"[٣].

ومن هنا ترى أن العلماء قد عددوا معنى اللفظة، فهو الفتور والفساد والنقصان والسقم والظلمة، وهي معان يقتضيها السياق في مواقع الكلمة المختلفة داخل النص القرآني، أو تستنبط من الأعراض التي تندرج تحت هذا اللفظ، فمواقع الآيات التي وردت فيها اللفظة في القرآن تراها مرة

---

[١] الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل مكتبة مصر ٥٩/١.

[٢] فتح القدير للشوكاني مؤسسة الريان طبعة رابعة ١٤٢٨ هـ – ٢٠٠٧م ١/ ٥٤.

[٣] البحر المحيط لأبي حيان ٩٥/١.

جاءت وفق نسق قرآني يتحدث عن صفات المنافقين ، وذلك كما في سورة البقرة/١٠ ، ومرة تأتي في سياق نص يتحدث عن الكفار أو المنافقين، وذلك كما ورد في سورة التوبة/١٢٥، وثالثة تأتي للدلالة على شهوة من الشهوات، كما في سورة الأحزاب/٣٢ " فيطمع الذي في قلبه مرض" ، ورابعة تأتي لضعاف الإيمان من المسلمين ، كما ورد في قوله تعالى: " وإذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله إلا غرورا "الأحزاب/١٢، إذ عطفهم على المنافقين في الشدة التي أصابتهم في غزوة الخندق، ويتطلب كل واحد منها معنى من المعاني يجمعها كلها لفظ المرض، وعلى كل حال فهو خروج عن حد الصحة في البدن والقلب ، وهو خروج عن حد المزاج المعتدل وعن الدين في عدم التصديق والاعتقاد.

والفتور هنا معناه تكاسل القلب وضعفه عن صرف الواردات الشيطانية التي تؤثر فيه، وتهيمن عليه، أما الظلمة فالمراد بها تخلي نورانيات التوفيق عن القلب فيخبط في الأمور خبط عشواء، لا بصر فيها ولا بصيرة ، ويراد بالفساد عدم قدرة القلب عن دفع ما يضره أو جلب ما يصلحه ، فيصبح غرضا للواردات الشيطانية تحركه دون عزم أو عزيمة، والنقصان ضد الكمال ، وهو تخلي جزء من كمالات القلب عن مكانها وفراغ القلب منها؛ ليحل محلها جزء من الآفات التي تضر به، وهو نقصان الإيمان في هذا القلب، وأما السقم فعلى تشبيه أمراض القلب بالأمراض العضوية كالألم والوجع في البطن والرجل والعين ... وهكذا.

ولا يبعد أن يكون المعنى الجامع لكل هذه الأمراض هو الفساد حسبما ورد عن القرطبي[١].

الأمراض المندرجة تحت هذا الحقل

جمع هذا الحقل مجموعة كبيرة من الصفات التي وصف بها الصدر والقلب في القرآن الكريم، وهي صفات تجد بين بعضها تقاربا في المعنى، وبين بعضها الآخر تباينا ، كما تجد بعض هذه الصفات خاصة بالصدر أو القلب ، وبعضها الآخر مشتركا بينهما ، كما تجد كثيرا من هذه الألفاظ دالة على أكثر من معنى، قد يحسم السياق معنى منها، وقد يتردد اللفظ بين معنيين أو أكثر والسياق يحتمل كلا منها .

كذلك ترى أن كثيرا من هذه الألفاظ قد اكتسبت معناها عن طريق المجاز أو التضمين أو غير ذلك ، وترى أيضا أن المفسرين قد استفادوا بما حدده اللغويون من معان لهذه الألفاظ، كما كان للتابعين من تلاميذ ابن عباس دور في تحديد معاني بعض هذه الألفاظ من خلال السياق المقامي الذي صاحب السياق اللغوي في بعض الأحيان .

لقد آثرت أن أعرض مفردات هذا الحقل مرتبة ترتيبا هجائيا على أن أقوم بتحليلها بناء على هذا الترتيب مبينا أصل المعنى، ثم المعنى المراد من اللفظة في سياقها، مبرزا العلاقات الدلالية للفظة –إن وجدت– عارضا آراء العلماء، لغويين ومفسرين في معاني هذه الألفاظ إن شاء الله .

---

[١] انظر صـ ٣٠ من هذا البحث.

أولا : مفردات هذا الحقل :

التأبي	عدم الطهارة
البغض	الغلظ
الثَّني	الغل
الحرج	الغمرة
الحسرة	الغيظ
الحصر	تقطع القلوب
الحمية	القسوة
الارتياب	الكبر
الزيغ	اللهو
تشابه القلوب	النفاق
الشتات	الإنكار
الإشراب	الوسوسة
الاشمئزاز	ضيق الصدر

ثانيا: التحليل :

١-التأبي: يقال :" أبَى عَليَّ وتأبَّى : امتنع "[١] ومادة " الهمزة والباء والياء تدور حول هذا الأصل ، وهو الامتناع "[٢] ، " والإباء : شدة الامتناع ، فكل إباء امتناع وليس كل امتناع إباء "[٣] ، وعلى هذا فالامتناع أعم من الإباء " وأبى فلان يأبى إباء ، أي ترك الطاعة ومال إلى المعصية ... وكل من ترك أمرا وردّه فقد أباه "[٤] . وفسره بعضهم بالكره ، يقول الزبيدي : " والإباء : الكره، قاله شيخنا". [٥]

ويرى بعضهم أن الإباء "هو الامتناع عن الشيء ، والكراهية له وبغضه وعدم ملاءمته"[٦]، فيجمع هذا التعريف أصل المعنى، وهو الامتناع، وأسبابه، وهو الكراهية والبغض وعدم الملاءمة، وهو ما ينطبق على إباء القلب في قوله تعالى: "يرضونكم بأفواههم وتأبى قلوبهم وأكثرهم فاسقون" [٧]، فإباء القلب هنا هو امتناع شديد عن الطاعة بسبب كراهيتهم الشديدة والبغض الواضح في نفوسهم، وهذا خلاف ما يظهرونه بألسنتهم، وقصره أبو حيان على المخالفة بين القول وما يضمر في القلب، فقال: "

---

[١] أساس البلاغة للزمخشري ٢.

[٢] ينظر المقاييس ١ / ٤٥ .

[٣] المفردات ص ١٨.

[٤] العين ٨ / ٤١٨ " أبي " .

[٥] تاج العروس ٣٧ / ٩ " أبي " ، وانظر اللسان " أبي".

[٦] تاج العروس ٣٧ /٩ " أبي".

[٧] التوبة آية ٨.

وإباء القلب مخالفته لما يجري على اللسان من القول الحسن" [١] . لكنك تجد الزمخشري يكشف عن ذلك، فليس الأمر قاصرا على مجرد المخالفة، بل هو مخالفة ما يضمرونه من ضغن وعداوة فيقول : "وإباء القلوب "مخالفة ما فيها من الأضغان لما يجرونه على ألسنتهم من الكلام الجميل " [٢] .

ويرى ابن عاشور أن اللفظ قد اكتسب هذا المعنى عن طريق المجاز:" فإسناد الإباء إلى القلوب استعارة ، فقلوبهم لما نوت الغدر ، شبهت بمن يطلب منه شيء فيأبى"[٣]، ويفهم مما سبق أن الإباء هو شدة الامتناع ، وأن الامتناع أعم منه ، وأن الامتناع في هذا السياق يصحبه كراهية وبغض وضغن في القلوب ، كما أن هذا المعنى قد اكتسبه اللفظ عن طريق المجاز ، و هو استعارة شبهت فيها قلوب المنافقين بإنسان يطلب منه شيء فيأبى؛ ثم حذف المشبه به ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو الإباء على طريق الاستعارة المكنية.

٢-<u>البغضاء</u> :" الباء والغين والضاد أصل واحد، يدل على خلاف الحب، يقال: أَبغَضته أُبغضُه"[٤] والبُغض ضد الحب ، وهو نفار النفس عن عن الشيء الذي ترغب عنه[٥] ، والبَغضاء: شدة البغض ، وهو مصدر

---

[١] البحر ٥ / ٣٧٨ .

[٢] الكشاف ٢ / ٢٨٢ .

[٣] التحرير والتنوير ١٠ / ١٢٤ .

[٤] المقاييس ١/ ٢٧٣ " بغض ".

[٥] المفردات ص٦٥ بتصرف يسير .

كالسراء والضراء والبأساء وكذلك البِغضة – بالكسر [١] وزاد ابن منظور البَغاضة [٢] ، وفسر بعضهم البغضاء بشدة الكراهية، يقول أبو حيان :" البغضاء مصدر كالسراء والبأساء ، يقال بَغض الرجل، فهو بغيض، وأبغضته أنا: اشتدت كراهتيٍ له "[٣] ويعلل ابن عاشور لاكتسابها هذا المعنى عن طريق التقلبات ، فيقول :" وأما البغضاء فهي شدة البغض وليس في مادة " بغض" إلا معنى جنس الكراهية ، فلا سبيل إلى معرفة معناها من مادتها ، نعم يمكن أن يرجع فيه إلى طريق القلب ، وهو من علامات الاشتقاق ، فإن مقلوب بغض يكون غضب لا غير ، فالبغضاء: شدة الكراهية غير مصحوبة بعدو[٤] ، فهي مضمرة في النفس"[٥].

وفسر القرطبي البغضاء في قوله تعالى :" قد بدت البغضاء من أفواههم " بقوله " ظهرت العداوة والتكذيب لكم من أفواههم "[٦] ، لكن تفسير البغضاء بالعداوة يأتي على سبيل التقريب ، فبينهما فرق في المعنى ، حيث يرى بعضهم أن العداوة أخص من البغضاء ؛ لأن كل عدو مبغض ، وليس العكس [٧] ، ويرى البعض الآخر أن العداوة أعم ؛ لأنها

---

[١] ينظر العين ٤/ ٣٦٩ " بغض " ، والقاموس المحيط ١/ ٦٣٧ " بغض ".

[٢] ينظر اللسان " بغض ".

[٣] البحر المحيط ٣ / ٣٠٧ .

[٤] عدو أي : اعتداء.

[٥] التحرير والتنوير ٦ / ١٤٨.

[٦] الجامع لأحكام القرآن ٤ / ١٨٠ .

[٧] إرشاد العقل السليم إلي مزايا الكتاب الكريم ٥٩/٣ أبو السعود والدر المصون ٣٤٦/٤ .

سبب في البغضاء ، وقد يتعادى الأخ مع أخيه، ولا يتمادى على ذلك، فإذا تمادى على ذلك تنشأ المباغضة [١]، فأصل البغضاء في القلب والصدر . وقد عبر عنه القرآن في هذا الموضع بالصدر . ويظهر أثره على اللسان من شدته وتمكنه في قلوبهم، ولذلك فسره بعضهم بالعداوة، وبعضهم بشدة الكراهية، وبعضهم بشدة العداوة والتكذيب ، وبعضهم بشدة البغض والحسد، حيث يقول الشوكاني :" والمعنى أنها قد ظهرت البغضاء في كلامهم؛ لأنهم لما خامرهم من شدة البغض والحسد أظهرت ألسنتهم ما في صدورهم ، فتركوا التقية وصرحوا بالتكذيب" [٢].

وعلى ذلك فالتعبير بالأفواه مجاز عن القلب والصدر؛ لأن اللسان دليل على ما في القلوب والصدور، وترجمان لها، وكأنه الآلة التي تظهر العداوة، وعدم التصديق، وإن كان محلهما على الحقيقة القلب والصدر، وإنما جعل اللسان على الفؤاد دليلا.

يتضح من خلال هذا التحليل أن أهم ملامح اللفظ ما يلي :

١- دلالته على ضد الحب.

٢- نفار النفس عن الشيء غير المرغوب فيه.

٣- دلالة الصيغة " البغضاء " على المبالغة في البغض.

٤- شدة الكراهية المتولدة عن هذا البغض.

---

[١] ينظر التحرير والتنوير ١٤٨/٦.

[٢] فتح القدير ١ / ٤٨٨ .

٥-العداوة التي ينشأ عنها هذا البغض عند من يرى أن العداوة أعم.

٦- التكذيب وعدم التصديق.

كما ترى فإن اللفظ قد ذكر له أكثر من معنى، بعضها مكتسب من دلالة المادة ، وبعضها من الاشتقاق، والمعاني الأخرى مكتسبة من السياق، وحاصلها شدة الكراهية ، شدة العداوة ، العداوة والتكذيب ، شدة البغض والحسد .

٣-الثَّنيُ : قال تعالى: " ألا إنهم يثنون صدورهم ليستخفوا منه ألا حين يستغشون ثيابهم يعلم ما يسرون وما يعلنون إنه عليم بذات الصدور"[١].

الثني: هو الطي أو العطف، تقول : ثنيت الشيء: أي : عطفته ورددت بعضه على بعض[٢].

" وكل شيء ثُني بعضه على بعض أطواقا، فكل طاق من ذلك ثِنْي"[٣].

وأثناء الحية مطاويها إذا انطوت وتلوت [٤]، والحبل ثَنْي؛ لأنه يعطف بعضه على بعض، وكذلك المثنى،" لما فيه من العطف بين الاثنين، أو

---

[١] هود آية ٥.

[٢] العين ٨/ ٢٤٢، والتهذيب ١٥ / ١٣٣ ، ١٤٣، واللسان " ثني " .

[٣] العين السابق، وأساس البلاغة٤٨.

[٤] العين السابق ، وأساس البلاغة٤٨.

التكرير، يقول ابن فارس : " الثاء والنون والياء : أصل واحد، وهو تكرير الشيء مرتين ، أو جعله شيئين متواليين" [١].

و قوله تعالى: " يثنون صدورهم " أي يطوونها على ما فيها من الغل والحقد الذي يضمرونه للرسول والرسالة، وهي صالحة للتطبيق على الكفار أو المنافقين أو كليهما، ويكون الأمر على المجاز لا الحقيقة، لأن الطي يكون في المحسوس لا المعنوي، و قد تنبه لذلك فريق من العلماء، فجعله الزمخشري من المجاز بقوله :" وتثنى في صدري كذا ، أي تردد"[٢] .

ونص ابن عطية على أن اللفظ قد اكتسب المعنى عن طريق الاستعارة، فقال:"وقيل: هي استعارة للغل والحقد الذي كانوا ينطوون عليه ، كما تقول فلان يطوي كشحه على عداوته، ويثني صدره عليها؛ "فمعنى الآية ألا إنهم يسرون العداوة ويكتمونها لتخفى في ظنهم عن الله"[٣] .

وجعلها الرازي كناية عن النفاق، فقصرها على المنافقين في أحد وجهين ذكرهما في تأويل الآية وهو ما عناه بقول طائفة منهم إذا أغلقنا أبوابنا و استغشينا ثيابنا وثنينا صدورنا على عداوة محمد فكيف يعلم بنا، وعلى هذا التقدير يكون قوله تعالى :" يثنون صدورهم " كناية عن النفاق ؛ لأنهم يضمرون خلاف ما يظهرون[٤].

---

[١] المقاييس ١/ ٣٩١ .

[٢] أساس البلاغة مادة (ثني صـ٤٩) .

[٣] المحرر الوجيز ٣/ ١٥٠، والبحر المحيط ٦ / ١١٥.

[٤] مفاتيح الغيب ١٧/ ٣١٧ بتصرف .

ويرى بعضهم أنه على الحقيقة، فقال: " ذلك كان من فعل بعض المنافقين ، كان إذا مَرَّ برسول الله صلى الله عليه وسلم غطى وجهه وثنى ظهره وقال آخرون: إنما كانوا يفعلون ذلك ؛ لئلا يسمعوا كتاب الله[١] " .

ويردده ابن عاشور بين الحقيقة والمجاز، فيقول: " وثني الصدور إمالتها وحنيها، تشبيها بالطيّ، ويحتمل أن يكون ذلك الإجراء على حقيقته، ويحتمل أن يكون تمثيلا لهيئة نفسية بهيئة حسية، وعلى الاحتمال الثاني فهو تمثيل لحالة إضمارهم العداوة للنبي صلى الله عليه وسلم في نفوسهم، وتمويه ذلك عليه وعلى المؤمنين به بحال من يثني صدره ليخفيه"[٢].

لقد اجتهد علماء التفسير في تأويل المعنى من خلال سياق الآية، حيث أورد البيضاوي بعضا منها، فقال: " يثنونها عن الحق وينحرفون عنه، أو يعطفونها على الكفر وعداوة النبي صلى الله عليه وسلم، أويولون ظهورهم" [٣] ، وأورد أبو حيان عن ابن عباس قوله: " يخفون ما في صدورهم من الشحناء، كما أورد قول ابن زيد: يكتمونها إذا ناجى بعضهم بعضا في أمر رسول الله"[٤].

ويرى بعضهم أن الثني: الإخفاء، يقول الفراء: نزلت فيمن كان يلقى النبي صلى الله عليه وسلم بما يحب وينطوي له على العداوة والبغض،

---

[١] جامع البيان ١ / ٢٣١.

[٢] التحرير والتنوير ١١/ ٣٢١ .

[٣] أنوار التنزيل وأسرار التأويل ٣/ ١٢٨.

[٤] البحر المحيط ٦ / ١١٥.

فذلك الثني الإخفاء "[١] ، ويفسرها الزجاج فيقول: "يثنون صدورهم" أي يسرون عداوة النبي صلى الله عليه وسلم، وقال غيره: يحنون ويطوون"[٢].

فأنت ترى أن المعنى قد تردد بين الحقيقة والمجاز، وميله إلى المجاز أولى وأرجح، ويتردد العلماء في تحديد نوع هذا المجاز بين الاستعارة والكناية، كما أن العلماء قد اجتهدوا في تفسير معنى هذه الكلمة خارج سياقها، وداخله، فالكلمة خارج السياق جزء من مادتها، ودلالة المادة على رد الشيء بعضه على بعض، أو الطي والعطف، أما داخل السياق، فقالوا في معناها يَزْوَرُّون عن الحق وينحرفون عنه؛ لأن من أقبل على الشيء استقبله بصدره، ومن ازور عنه وانحرف ثني عنه صدره وطوى عنه كشحه[٣]، أو يسرون عداوة النبي صلى الله عليه وسلم، أو يحنون ويطوون ما فيها ويسترونه إخفاء من الله، أو يخفون ما في صدورهم من الشحناء والعداوة، أو هي استعارة للغل والحقد الذي كانوا ينطوون عليه، أو هي كناية عن النفاق....إلخ.

ومن هنا فإننا نلاحظ ما يلي:

١-أن المعاني التي فسرت بها الكلمة متقاربة، وأن كثيرا منها جاء عن طريق السياق.

---

[١] اللسان " ثني ".

[٢] السابق " ثني ".

[٣] الكشاف ٢/ ٣٨٩ .

٢-أن المجاز يلعب دورا كبيرا في إضافة معان جديدة للكلمة في هذا الحقل.

٣-أن العلاقة بين المعاني السياقية والمعنى الأصلي للمادة ليست بعيدة.

٤-الحرج :

قال تعالى:" فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا"الأنعام/١٢٥ ، "وقال تعالى: " فلا يكن في صدرك حرج منه"الأعراف/٢ ، وقال سبحانه: " ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما"النساء/٦٥.

تدور مادة " ح ر ج " حول تجمع الشيء وضيقه [١] ، ومنه الحرج، وهو الضيق، وقيل: الضيق الذي لا منفذ فيه، وقيل: أضيق الضيق، وحرج صدره يحرج حرجا : ضاق فلم ينشرح لخير[٢] ، وأرجعه بعضهم في الاشتقاق إلى الحرجة واحدة الحرج، وهو الشجر الملتف الذي لا يمكن الدخول فيه ولا الخروج منه [٣]، وقصره الراغب على مجتمع الشيء، ثم تصور منه الضيق الحاصل بين الشيء المجتمع، فقيل للضيق حَرَج وللإثم حَرَجٌ " [٤] ، وفسر الحرج في الآيتين بمعنى الشك، وعلله الزمخشري بأن الشاك يكون ضيق الصدر حَرِجهُ، كما أن المتيقن منشرح الصدر

---

[١] المقاييس ٢ / ٥٠.

[٢] ينظر الفروق اللغوية ص٣٠٥ ، واللسان " حرج " .

[٣] ينظر الفروق اللغوية ص ٣٠٥ ، والمقاييس ٢ / ٥٠ والتحرير والتنوير ٨ / ١٣.

[٤] المفردات ص ١٢٠.

مُنْفَسَحه[١] ، وزاد الطبري" لأن الشك فيه لا يكون إلا من ضيق الصدر به وقلة الاتساع لتوجيهه الوجهة الصحيحة" [٢] ، وفسره بعضهم بالشك والخوف والهم وكل ما يضيق الصدر[٣]، واستعاره ابن عاشور لحالة النفس عند الحزن والغضب والأسف؛ لأنهم تخيلوا للغاضب والآسف ضيقا في صدره لما وجدوه يَعسرُ منه التنفس من انقباض أعصاب مجاري النفس" [٤]، وفسره الخليل بالمأثم ، فقال: " الحَرَجُ: المأثم، والحارج الآثم[٥]، ويرى ابن الأثير أن الحرج في الأصل الضيق، ويقع على الإثم والحرام [٦]، وفسر وفسر الزمخشري الحرج بالمأثم وجعله من المجاز، فقال: ومن المجاز وقع في الحَرج، وهو ضيق المأثم[٧]، وعليه فسر الحديث " حدثوا عن بني إسرائيل و لا حرج " أي لا بأس ولا إثم عليكم [٨] ، وفسر الزجاج قوله تعالى: " يجعل صدره ضيقًا حَرَجا" قال معناه: ضَيّق جدا[٩] "وفُسر في بعض الأحاديث بالحرام، ومنه الحديث" اللهمّ إنيّ أحَرّجُ حق الضعيفين

---

[١] الكشاف ٢ / ٨٥ ، وجامع البيان للطبري ١٢ / ٢٩٥ .

[٢] جامع البيان ٢ / ١٠٧.

[٣] المحرر الوجيز ٢ / ٣٧٢ .

[٤] التحرير والتنوير ٨ /١٣ .

[٥] العين ٣ / ٧٦ ، واللسان " حرج ".

[٦] اللسان " حرج " .

[٧] أساس البلاغة ٧٨.

[٨] النهاية ١/ ٣٤٨ .

[٩] اللسان " حرج " .

اليتيم والمرأة" أي أضيقّه و أحَرّمه على من ظلمهما، يقال حَرّج عَلَيّ ظلمك: أي حرّمه، و أحرجها بتطليقة: أي حَرّمها." [١]

ويفهم مما سبق ما يلي :

١-أن المادة ترجع في أصلها اللفظي إلى الحَرَجة واحدة الحرج، وهو الشجر الكثيف الملتف الذي يصعب الدخول فيه أو الخروج منه ، وهو اشتقاق من المحسوس.

٢-أن الأصل المعنوي للمادة هو الضيق الذي لا منفذ فيه، أو هو أضيق الضيق.

٣-أن بين الحرج و الضيق عموما و خصوصا، فالحرج الضيق الذي لا منفذ فيه أو هو أشد الضيق .

٤-أن الحرج له معان متعددة اكتسبها اللفظ في سياقاته المختلفة، منها الضيق، ومنها الشك، ومنها الإثم، والحرام، والخوف والهم، والحزن، والغضب، والأسف.

٥. بعض هذه المعاني جاء عن طريق الاستعارة، وذلك عند الحزن والغضب، وقد أشار لذلك ابن عاشور في التحرير والتنوير كما سبق ، وكذلك ابن عطية حيث قال: في قوله تعالى " يجعل صدره ضيقا حرجا " ألفاظ مستعارة تضاد شرح الصدر للإسلام. [٢]

---

[١] النهاية ١/ ٣٤٨.

[٢] المحرر الوجيز ٢ / ٣٤٣.

٦. أدرك كثير من العلماء المعنى الذي يقتضيه السياق في هذا المقام ، فمثلا يقول ابن عطية: والحرج هاهنا ، وتفسيره بالشك قَلِقٌ"[١].

٧- ردد بعض العلماء اللفظ بين معنيين من هذه المعاني، وإن رد أحدهما على الآخر، فيقول الزمخشري حين ذكر قوله تعالى: "ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما " [٢] حَرَجا: أي ضيقا، أي لا تضيق صدورهم من حكمك، وقيل شكا، لأن الشاك في ضيق من أمره حتى يلوح له اليقين"[٣].

---

[١] المحرر الوجيز ٢ / ٣٧٢ .

[٢] النساء آية ٦٥.

[٣] الكشاف ١ / ٤٦٠.

٥- الحسرة:

قال تعالى : " يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين كفروا وقالوا لإخوانهم إذا ضربوا في الأرض أو كانوا غُزّى لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا ليجعل الله ذلك حسرة في قلوبهم "[١].

وردت كلمة الحسرة هنا في سياق النص القرآني، حيث يوصي الله عباده المؤمنين ألا يكونوا مثل الكفار الذين تصيبهم حسرة في قلوبهم على من مات من إخوانهم في سفر أو قتال، ظنا منهم أن هذا هو سبب موتهم، وأنهم لو ظلوا في بيوتهم ما ماتوا وما قتلوا ، وهذا ضرب من الجهل؛ لأنهم لو كانوا في بيوتهم لبرز الذين كتب عليهم القتل إلى الموضع الذي يقتلون فيه في حينه و زمانه.

ولفظ الحسرة من الحَسْر، وهو في الأصل يدل على كشف الشيء، ومنه ناقة حسير: انحسر عنها اللحم والقوة، أي: انكشف، وحسَرَتُ عن الذراع: أي كشفته، والْحَسْرُ: كشف الملبس عما عليه، والحاسر: المُعيا ؛ لانكشاف قواه [٢]، وفسر الخليل الحسر بالكشط، فقال: "الحَسر: كشطك الشيء عن الشيء"[٣] ، "والحسرة: التلهف على الشيء الفائت، ويقال: حَسَرتُ عليه حَسَرا و حَسْرة ، وذلك لانكشاف أمره في جزعه وقلة صبره"[٤] ، وفسرها الراغب بالغم على الفائت، والندم عليه ، كأنه انحسر عنه الجهل

---

[١] آل عمران آية ١٥٦.

[٢] ينظر المقاييس ٦١/٢ .

[٣] العين ٣ /١٣٣.

[٤] المقاييس ٦١/٢.

الذي حمله على ما ارتكبه ، وانحسر قواه من فرط غم ، أو أدركه إعياء عن تدارك ما فرط منه ، قال تعالى : " ليجعل الله ذلك حسرة في قلوبهم"[١] ، " وحَسِر الرجل (كفَرِحَ) يَحسَرُ (حَسرَة) بفتح فسكون (وحَسَرا) محركة: ندم على أمر فاته أشد الندم ، وتحسّر الرجل : إذا تلهف فهو حَسِرٌ "[٢] وفسرها ابن عاشور بشدة الأسف، أي الحزن [٣] .

وقال القرطبي: " الحسرة: الاهتمام على فائت لم يقدر بلوغه" [٤] ، وجمع الطبري بين الغم والحزن في تفسير اللفظ فقال:" يعني أنهم يقولون ذلك كي يجعل الله قولهم ذلك حزنا في قلوبهم وغما " [٥] كذلك جمع ابن عطية بين التلهف على الشيء والغم به [٦] ، وفسره أبو السعود بالغم والغيظ [٧].

وهكذا ترى أن اللفظ قد جاء في أكثر من موضع في القرآن الكريم، خصت منها آية بالقلب، وآية بالبصر "يرجع البصر خاسئا وهو حسير"[٨] كما جاءت الحسرة مطلقة في النعي على الناس " يا حسرة على العباد"[٩]،

---

[١] المفردات ص ١٢٥ " حسر " . الفعل كَفَرِحَ فَرَحًا وفَرْحَةً.

[٢] تاج العروس ١١/ ١١ " حسر" .

[٣] التحرير والتنوير ٤/ ١٤٢.

[٤] الجامع لأحكام القرآن ٤ / ٢٤٧.

[٥] جامع البيان ٧ / ١٣١ .

[٦] المحرر الوجيز ١ / ٥٣٢ .

[٧] إرشاد العقل السليم ٢ / ١٠٤.

[٨] الملك آية ٤.

العباد"[١]، وقال تعالى : "فتقعد ملوما محسورا " [٢] ، وقال سبحانه : " وإنه وإنه لحسرة على الكافرين "[٣].

ورغم أن اللفظ قد فسر في كل موضع بمعنى، إلا أنهم يرجعون هذه المعاني إلى المعنى الأصلي للمادة، وهو الانكشاف، يقول الزمخشري: " وكل شيء كُشِفَ فقد حُسِرَ" [٤].

من خلال تحليل هذه المادة يتضح ما يلي :

١-أن المادة بجميع تصريفاتها تدل على الانكشاف، وكل ما ابتعد عنها من المعاني يرد إليها بلطف وحسن صنعة، وقد جاء من مشتقاتها في القرآن الحسرة،والحسير والاستحسار و" حسرتي "والمحسور"...الخ.

٢-أن اللفظ في القرآن قد جاء في سياقات متعددة في سورة آل عمران ويس والحاقة ، وصف بها القلب مرة ، وجاء وصفا للكافرين مرة وللعباد مرة أخرى.

٣. تعددت معاني هذا اللفظ من خلال السياق، حيث فسره بعضهم بالغم، وبعضهم بالندم وبعضهم بشدة التلهف، وبعضهم بالحزن، ويجمع بعضهم بين الغم والغيظ، و بعضهم بين الغم والحزن، وبعضهم بين الغم وشدة التلهف، وكلها معان متقاربة.

---

[١] يس آية ٣٠.

[٢] الإسراء آية ٢٩.

[٣] الحاقة آية ٥٠.

[٤] أساس البلاغة ٨٣.

٤. من مشتقات المادة لفظ الحسير، وجاء وصفا للبصر في سورة الملك، وفسره العلماء بالكلل والإعياء، وعده صاحب تاج العروس من المجاز، فقال: ومن المجاز حَسَر البصر يحسِرُ حُسُورًا: كلّ وانقطع نظره من طول مَدًى، وهو حسير و محسور... وبصر حسير: كليل"[١] .

وكذلك جعل منه الحسرة، وهي شدة الندم على أمر فائت [٢] .

٦-حصر :

قال تعالى: " إلا الذين يصلون إلى قوم بينكم وبينهم ميثاق أو جاءوكم حصرت صدورهم أن يقاتلوكم أو يقاتلوا قومهم"[٣] .

وردت الكلمة في سياق آية تتحدث عن قوم من كنانة يقال لهم بنو مدلج، حاروا بين قومهم وبين المسلمين إلى أي فريق ينتمون، وقد جاءوا إلى المسلمين ضائقة صدورهم بسبب هذه الحيرة الدائرة في صدورهم، أيقفون في صف قومهم في القتال أم يقاتلون قومهم ؟ وأصل الحصر الحبس والضيق والامتناع ، يقول الراغب: " الحصر: التضييق، قال عز وجل: " وأحصروهم" [٤] : أي : ضيقوا عليهم"[٥]، وجعله ابن دريد الضيق

---

[١] تاج العروس ١١ / ١١ " حسر ".

[٢] السابق ١١ /١١ بتصرف .

[٣] النساء آية ٩٠.

[٤] التوبة آية ٥– وأحصروهم أي ضيقوا عليهم، واحبسوهم على ما يكرهون، وامنعوهم مما يحبون.

[٥] المفردات ص ١٢٨ .

فقط فقال :" وأصل الحصر : الضيق، ومنه الحصر : احتباس النجو ، كناية عن ضيق مخرج ذي البطن "[١] والإحصار : أن يَحُصر الحاج عن بلوغ المناسك مرض أو عدوّ[٢] ، والحَصْرُ : العِيُّ : كأن الكلام حُبس عنه ومُنع منه، والحَصَرُ بفتحتين: ضيق الصدر[٣] ، وقيل: الضيق والانقباض[٤].

وكل من بَعِلَ[٥] بِشَيْء أو ضاق صدره بأمر فقد حَصِرَ ، ومنه قول لبيد لبيد يصف نخلة طالت، فحَصِر صدر صارم ثَمَرِهَا حين نظر إلى أعاليها وضاق صدره أن رَقِيَ إليها لطولها

أعْرَضْتُ وانْتَصَبَتْ كجَذْعِ مُنيفةَ جرداء يَحْصَرُ دونها صُرّامُهَا[٦]

وفسره بعضهم بالضيق والحرج [٧] .

---

[١] الجمهرة ١ / ٥١٤.

[٢] العين ٣ / ١١٣ .

[٣] المقاييس ٢ / ٧٢.

[٤] الكشاف ١ / ٤٧٥ ، وإرشاد العقل السليم ٢ / ٢١٤ .

[٥] في القاموس (بعل): وبَعِل بأمره كفَرِحَ دَهِشَ، وفَرِقَ وبَرِمَ فلم يدر ما يصنع، فهو بَعِلٌ. أ.هـ.

[٦] اللسان " حصر " ، والبيت من معلقة لبيد بن ربيعة العامري ديوانه صـ ١١٤، ولفظه فيه

أسلهلت وانتصبت كجذع منيفة جرداء يحصر دونها جرامها.

[٧] المحرر الوجيز ٢ / ٩٠ والتحرير والتنوير ٥ / ١٥٤ .

وجعله الراغب حبسا في ضيق، حيث يقول: " الحصر: حبس في ضيق، وعبر عن البخل والجبن بانحصار النفس ، وكذلك عبر عنها بضيق الصدر، وعن ضدها بسعة الصدر" [١] ، لقد جاءت مشتقات المادة في القرآن الكريم للدلالة على معنى المنع والحبس، منها قوله تعالى: " واحصروهم" [٢].

ومنها قوله تعالى:" وسيدا وحصورا" [٣] : وفي كليهما معنى الحبس والمنع والمنع ، والتضييق ، يقول الزبيدي : " واحصروهم " أي : ضيقوا عليهم"[٤] عليهم"[٤] . وكذلك معنى قوله تعالى : " فإن أحصرتم فما استيسر من الهديَ " [٥] أي : إن حبستم ومنعتم من إتمام الشعيرة ، وكل من الحبس والمنع فيه معنى التضييق.

من خلال ما سبق يتضح ما يلي :

١-أن المادة تدور حول معنى الحبس والتضييق والمنع، وقد تأتي بعض مشتقات المادة بمعنى العِيّ في المنطق وأن يمنع عن القراءة، أو الانقطاع أو الكلال ، وكلها ترجع إلى معنى الحبس والتضييق والمنع .

---

[١] تفسير الراغب الأصفهاني تحقيق ودراسة د/ محمد عبد العزيز بسيوني كلية الآداب جامعة بنها ١٩٩٩م – ١٤٢٠هـ ٣ / ١٣٨٠.

[٢] التوبة آية ٥.

[٣] آل عمران آية ٣٩.

[٤] تاج العروس ١١ / ٢٤ " حصر" .

[٥] البقرة آية ١٩٦.

٢. أن بعض العلماء فسر اللفظ في سياق الآية بمعنيين، بالضيق والانقباض أو الضيق والحرج، أو الحبس في ضيق.

٣-جاءت بعض مشتقات المادة في القرآن في سياقات متعددة ، منها الحصور ، ومنها الفعلان " حَصِرَ" و "أُحْصِر " و الأمر "احصروهم " وفيها جميعا معنى الضيق والحبس.

٤-يلاحظ من خلال عرض مفردات المادة أن المعنى في بدايته حِسّيٌ، ثم تطور بعد ذلك إلى المعنوي فقد جاء في التاج: " والحَصْرُ للبعير : شَدُّه بالحصار ... والحُصْرُ – بالضم :احتباس ذي البطن [١] والحصور من الإبل : الضَّيِّقة الإحليل[٢].

٥- فرق بعض العلماء بين حَصِرَ وأُحْصِرَ، وذلك كثعلب وابن السكيت، فيقول ابن السكيت: حَصَرَه المرض: إذا منعه من السفر، أو من حاجة يريدها، وأَحْصَرَه العدو إذا ضيق عليه فحُصِر: أي ضاق صدره، ويرى يونس أن الرجل إذا ردّ عن وجه يريده فقد أُحْصِرَ، وإذا حُبسَ فقد حُصِر ، في حين يرى أبو إسحاق أنه يقال للذي يمنعه الخوف والمرض أُحصرِ ، ويقال للمحبوس حُصِرَ ، وورد عن ابن عباس أنه قال: " لا حَصْر إلا حَصْرُ العَدُوّ " فجعله بغير ألف جائزا ، وسوى بعض العلماء بينهما كابن القوطية وابن القطاع وأبي عمرو الشيباني[٣].

---

[١] اللسان " حصر " تاج العروس ١١/ ٢٤ ، وما بعدها.

[٢] السابق والصفحات ذاتها.

[٣] السابق والصفحات ذاتها.

٧-**الحمية** :

قال تعالى : " إذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية حمية الجاهلية"[١].

وردت الكلمة في سياق هذه الآية لتبين لنا تلك الأنفة وذلك الغضب الذي لحق بكفار مكة حين علموا بمجيء الرسول وأصحابه إلى مكة لأداء العمرة ، فقالوا: قتلوا أبناءنا وإخواننا ويدخلون علينا في منازلنا فتتحدث العرب عن دخولهم علينا رغم أنفنا، واللات والعزى لا يدخلونها علينا، فهذه هي حمية الجاهلية التي دخلت قلوبهم .

الحمية: الأنفة، يقال: فلان ذو حميَّة: أي ذو أنفة وغضب[٢]، وأصل الحَمْى: "الحرارة المتولدة من الجواهر المحمية، كالنار والشمس، ومن القوة الحارة في البدن، وعبر عن القوة الغضبية إذا ثارت وكثرت بالحميَّة ، فقيل : حميت على فلان: أي غضبت عليه"[٣]، وفي حديث معقل بن يسار: " فحَمِيَ من ذلك أَنفا " أي أخذته الحميَّة، وهي الأنفة والغَيْرَة "[٤]، وقيل: الحمية: الأنفة من الشيء ... وهي المنع، ووزنها فعيلة. [٥]

---

[١] الفتح آية ٢٦.

[٢] الكشاف ٤ / ٢٣٥ وفتح القدير ٥ /٧١ .

[٣] المفردات ص ١٣٩، ١٤٠ .

[٤] النهاية لابن الأثير ١ م ٤٣٠ " حما " .

[٥] الدر المصون ٩ / ٧١٨ .

"والحُمَيّا: شدة الغضب وأوله..وحُمَيا الكأس: سورتها ... وحُمَيا كل شيء شدته وحدته، ويقال إنه لشديد الحُميَّا: أي شديد النفس والغضب"[١].

" وحمى فلانٌ أنْفَه يحميه حمِيَّة ومحمية ، وفلان ذو حمية منكرة: إذا كان ذا غضب وأنفة ." وحَمِيت من هذا الشيء أَحْمى منه حميَّة: أي أنفا وغيظا "[٢].

وحمى الشيء يحميه حميا وحمىً وحمية ومحمية: منعه ودفع عنه[٣]، وفسر الزبيدي الحمية بالأنفة والغيرة [٤]، وفسر الغيرة أيضا بالحمية والأنفة[٥] ، وفسر ابن عاشور الحمية بالأنفة ، ثم شرح الأنفة فقال : " أي الاستنكاف من أمر ، لأنه يراه غضاضة عليه ، وأكثر ذلك استكبار لا موجب له "[٦].

يتضح مما سبق ما يلي:

١-أن المادة تدل على الحرارة بنوعيها، الجواهر المحمية في الكون كالنار والشمس والقوة الحارة في البدن، وهو معنى حسي، ثم عبر عن القوة الغضبية في القلب بالحمية ، فتطور المعنى الحسي إلى المعنوي.

---

[١] اللسان "حما " .

[٢] تهذيب اللغة ٥ / ٢٧٤ " حمي ".

[٣] تاج العروس ٣٧/٤٧٩.

[٤] المرجع السابق والصفحة ذاتها .

[٥] المرجع السابق ١٣ / ٢٨٨ .

[٦] التحرير والتنوير ٢٦/ ١٩٣.

٢-أن لفظ الحمية قد فسر بمعان متعددة، منها الأنفة ، والمنع ، والغضب ، وفسره بعضهم بمعنيين، منها الأنفة والغيرة، والأنفة والغيظ ، والمنعة والدفع عنه والأنفة والغيرة ، والأنفة والغضب .. وهكذا ، وهي معان استنبطها العلماء للفظة من خلال سياقاتها المختلفة.

٣-أن هذه اللفظة " الحمية " من الألفاظ التي وردت في القرآن مرتين في آية واحدة ، الثانية منهما بدل من الأولى ووصف لها ، ولم ترد مشتقاتها في القرآن الكريم .

٤-أن معنى اللفظ يختلف باختلاف متعلقه، تقول: حَمِيَ من الشيء وعنه، حمية: منعه ودفع عنه، وحمي عليه حمية: إذا غضب[١].

٨- **الارتياب**:

قال تعالى:"لا يزال بنيانهم الذي بنوا ريبة في قلوبهم إلا أن تقطع قلوبهم"[٢] وقال : " وارتابت قلوبهم فهم في ريبهم يترددون"[٣] ، وقال : " أفي قلوبهم مرض أم ارتابوا أم يخافون..."[٤] تدور مادة " ر ي ب " حول الشك والخوف والتهمة ، يقول ابن دريد : " والرَّيْبُ : الشك ، من قوله جل وعز " لا ريب فيه " والريب: التهمة " [٥] ، وقال ابن فارس: " الراء والياء

---

[١] ينظر أساس البلاغة ٩٦.

[٢] التوبة آية ١١٠ .

[٣] التوبة آية ٤٥ .

[٤] النور آية ٥٠ .

[٥] الجمهرة ١ / ٣٣٢ .

والباء أصيل يدل على شكّ أو شك وخوف ... تقول: رابني هذا الأمر إذا أَدْخَل عليك شكاً وخوفا"[١]والرَّيبُ والرَّيبة : الشّكّ والظَّنة والتهمة "[٢]وتقول رابني هذا الأمر: إذا أدخل عليك شكا وخوفا"[٣] وارتاب فيه: أي شكَّ [٤] ، والريب أيضا الحاجة، قال كعب بن مالك الأنصاري [الوافر] :

قضينا من تهامة كلَّ رَيْب وخيبر ثم أجمعنا السيوفا[٥]

يقول ابن فارس: "فيقال: إن الريب: الحاجة، وهذا ليس ببعيد، لأن طالب الحاجة شاكٌّ على ما به من خوف الفوت " [٦] وريب الدهر: صُروفه صُروفه وحوادثه، وريب المنون حوادث الدهر[٧] ، ورابني هذا الأمر و أرابني، إذا أساءني وأزعجني ورأيت منه ما أكره، ومنه حديث النبي صلى الله عليه وسلم: " فاطمة يريبني ما يريبها " أي : يسوءني ما يسوءها ويزعجني ما يزعجها " [٨].

---

[١] المقاييس ٢/ ٤٦٣.

[٢] اللسان "ريب " وتاج العروس ٢/ ٥٤٦.

[٣] المقاييس ٢ / ٤٦٣ .

[٤] اللسان " ريب" .

[٥] ديوان كعب بن مالك الأنصاري . صـ ٢٣٤. دراسة وتحقيق سامي مكي العاني . منشورات مكتبة النهضة- بغداد- الطبعة الأولى- ١٩٦٦م- ١٣٨٦هـ .

[٦] المقاييس ٢ / ٤٦٣ ، وتاج العروس ٢ / ٥٤٦ .

[٧] اللسان " ريب ".

[٨] السابق " ريب " .

لقد ورد الريب في القرآن الكريم في أكثر من موضع بأكثر من صيغة، ففي سورة البقرة: " ذلك الكتاب لا ريب فيه " [١] ، وجاءت الآية الأولى من التوبة تجمع بين صيغتين من المادة " وارتابت " ، و " ريبهم"، وقوله " وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا " [٢] ، وقوله " إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا " [٣] ، وكلها تدور على معنى الشك، يقول يقول الكفوي : " كل ما في القرآن من ريب فهو شك، إلا "ريب المنون" فإن المراد حوادث الدهر [٤] ، لكن لمّا كان ريب المنون مما يقلق النفس ويزعجها كان كالشك ، يقول الزمخشري: "وحقيقة الريبة: قلق النفس واضطرابها، ومنه ما روي عن الحسن بن علي قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :" دع ما يريبك إلى ما لا يريبك ، فإن الشك ريبة ، وإن الصدق طمأنينة " أي فإن كون الأمر مشكوكا فيه مما تقلق له النفس ولا تستقر، وكونه صحيحا صادقا مما تطمئن له وتسكن، ومنه ريب الزمان: وهو ما يقلق النفوس، ويشخص بالقلوب من نوائبه " [٥] .

---

[١] القرة آية ٢ .

[٢] البقرة آية ٢٣ .

[٣] الحجرات آية ١٥.

[٤] الكليات ص ٤٦٤ .

[٥] الكشاف ١ / ٣٥.

لقد فسر ابن عباس الريبة في سياق آية التوبة الثانية بالشك والنفاق[١] ، وهو قول قتادة والضحاك أيضا[٢]، وفسرها الكلبي بالحسرة والندامة[٣]، وفسرها السدي بالحزازة والغيظ[٤].

وفسرها الرازي بقلق النفس وعدم اطمئنانها إلى الأمر [٥] ، وفسرها ابن ابن عطية بالشك، إلا أنه ذكر في شرحها مجموعة من المعاني التي ذكرت للّفظة ، فقال: "وقد يسمى ريبة فساد المعتقد واضطرابه، والإعراض في الشيء ، والتحبيط فيه ، والحزازة من أجله "[٦] فجمع بين فساد المعتقد، واضطرابه، والإعراض في الشيء، والحزازة من أجله، وكلها معان سبقت، ثم قال: " وإن لم يكن شكا، فقد يرتاب من لا يشك، ولكنها في معتاد اللغة تجري مع الشك "[٧].

لكنه لما أراد تفسير الريبة في سياق الآية الثانية من التوبة قال: " ومعنى الريبة في هذه الآية أمر يعم الغيظ والحنق، ويعم اعتقاد الصواب فعلهم ، ونحو هذا مما يؤدي كله إلى الريبة في الإسلام فمقصد الكلام: لا

---

[١] ينظر جامع البيان ١٤/٤٩٥، والكشف والبيان ٥ /٩٦ وأنوار التنزيل وأسرار التأويل٣/٩٨.

[٢] الجامع لأحكام القرآن ٨ / ٢٦٦ .

[٣] السابق والصفحة ذاتها .

[٤] السابق والصفحة ذاتها.

[٥] ينظر مفاتيح الغيب ١٧/ ٧٠.

[٦] المحرر الوجيز ٣ / ٨٦.

[٧] السابق الجزء والصفحة نفسها .

يزال هذا البنيان الذي هدم لهم يُبقي في قلوبهم حزازة وأثر سوء" [١]ويرى ابن عاشور أن النفاق شك في الدين ، لأن أصحابه يترددون بين موالاة المسلمين والإخلاص للكافرين [٢] .

-وهكذا ترى أن الريب فسر بمعان كثيرة، فهو الشك، والخوف، والظنة، والتهمة، والحاجة، والنفاق، والإساءة، والإزعاج، وقلق النفس واضطرابها ...إلخ

-كما ترى أن المفسرين قد جمعوا كثيرا من هذه المعاني ، وزادوا عليها ، وجمع بعضهم بين معنيين للفظ ، ففسر اللفظ بالشك والنفاق، أو الحسرة والندامة أو الحزازة والغيظ ... الخ .

-ذكر بعضهم معنى اللفظ بصفة عامة ، ثم ذكر المعاني الخاصة للفظ من خلال السياق كما فعل ابن عطية والزمخشري، وقام بعضهم بشرح الآية من خلال ما ذكره من معان للفظ كما فعل ابن عطية.

-استعان بعض العلماء بالحديث النبوي، أو البيت الشعري لتدعيم ما يرونه من معان لهذا اللفظ، ومن ذلك ما فعله ابن فارس من استشهاده ببيت كعب بن مالك الأنصاري وما فعله صاحب اللسان من استشهاده بحديث فاطمة رضي الله عنها، وقد سبق ذلك .

-إن كثيرا من هذه المعاني تتصل ببعضها بسبب من الأسباب، فالريب أصل الشك لكن الشك قد ينتج عنه الخوف أو الظنة أو التهمة أو الإساءة

---

[١] السابق الجزء والصفحة ذاتها .

[٢] التحرير والتنوير ١١/ ٣٦ .

، كما أنه بما فيه من تردد يقلق النفس ويزعجها ، ويجلب الغيظ والحزازة و يصور حال المنافق في تردده ، ولذلك صار اللفظ جامعا بين هذه المعاني جميعا .

٩-الزيغ :

ورد اللفظ في القرآن بصيغ مختلفة منها المصدر،وذلك في قوله تعالى: "وأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله "[١] ومنها المضارع كما في قوله تعالى : " ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا " [٢] وقوله تعالى : " لقد تاب الله على المهاجرين والأنصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم " [٣] ، وقوله تعالى : " فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم "[٤].

أصل الزيغ: الميل، تقول زاغ يزيغ زيغا وزيغانا وزيوغا: مال ، والتزايغ: التمايل، وكل شيء زاغ عن مكانه فقد مال [٥] . يقول ابن فارس " الزاي والياء والغين أصل يدل على ميل الشيء ، يقال : زاغ يزيغ زيغا " [٦] وجعله الراغب ميلا عن الاستقامة فقال " الزيغ : الميل عن الاستقامة

---

[١] آل عمران آية ٧ .

[٢] آل عمران آية ٨ .

[٣] التوبة آية ١١٧.

[٤] الصف آية ٥ .

[٥] ينظر العين ٤/ ٤٣٤،وتهذيب اللغة ٨ / ١٦٣، واللسان " زيغ " والتاج ٢٢/ ٤٩٧ " زيغ".

[٦] المقاييس ٣/ ٤٠.

"[١] ونقل عنه صاحب التاج " الميل عن الاستقامة إلى أحد الجانبين " [٢] وزاد المناوي " الميل عن الاستقامة والانحراف عن جهة الصواب " [٣] . وفي حديث الدعاء الذي أورده ابن الأثير " لا تزغ قلبي " فسره بقوله : " لا تمله عن الإيمان [٤]، والزيغ : أيضا العدول عن الشيء ، تقول : زاغ عن عن الطريق ، إذا عدل عنه ، ومنه قول أبي بكر رضي الله عنه: " أخاف إن تركت شيئا من أمره أن أزيغ: أي أجور وأعدل عن الحق [٥].

وقوله تعالى: " ربنا لا تزغ قلوبنا " نقل صاحب اللسان عن الزجاج قوله : "أي لا تملنا عن الهدى والقصد ، ولا تضلنا ، وقيل : لا تزغ قلوبنا : لا تتعبدنا بما يكون سببا لزيغ قلوبنا " [٦] وعلى الرأي الثاني فسرها الزمخشري بقوله : " لا تبلنا ببلايا تزيغ فيها قلوبنا " [٧] دون أن يفسر الزيغ عند تعرضه لآيتي آل عمران ، لكن الشوكاني ، فسر الزيغ بالميل ، وترك القصد [٨]. وفى سياق آخر فسر كلمة " يزيغ " في قوله تعالى : " من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم " بعد أن يبين أن هناك قراءة بالتاء "تزيغ " ومعناها: تتلف بالجهد والمشقة وقيل معناها: تميل عن

---

[١] المفردات ص ٢٢٢ " زيغ " .

[٢] التاج ٢٢ /٧ ٤٩ " الزيغ ".

[٣] التوقيف علي مهمات التعاريف ص ١٨٨ .

[٤] النهاية ٢ / ٢٩٢ " زيغ ".

[٥] ينظر السابق ذاته.

[٦] اللسان "زيغ .

[٧] الكشاف ١ / ٢٩٨ .

[٨] فتح القدير ١ / ٤٠٩ .

الحق ، وتترك المناصرة والممانعة ، وقيل : معناه: تهم بالتخلف عن الغزو لما تهيم فيه من الشدة العظيمة [١] .

والمعنيان الأخيران يظهر فيهما أثر السياق بنوعيه اللغوي والمقامي.

وفسر بعض علماء التفسير الزيغ بالميل عن الحق والانحراف عنه[٢].

عنه[٢].

وقيل الزيغ: الجور والميل عن القصد [٣] ، وقيل: ميل عن الحق إلى الأهواء الباطلة [٤] ، وفسره بعضهم بالعدول عن الحق [٥] ، والميل عن الحق [٦] ، وقصره القرطبي على مطلق الميل [٧] .

أما الإزاغة ، من قوله تعالى: "ربنا لا تزغ قلوبنا" فقد فسرها القرطبي بالفساد والميل عن الدين[٨] ، وقال أبو حيان: " ومعنى الإزاغة هنا: الضلالة [٩] ، وقال الزجاج: " لا تملها عن الهدى والقصد، أي لا تضلنا بعد إذ هديتنا ، وقيل أيضا: لا تتعبدنا بما يكون سببا لزيغ قلوبنا، وكلاهما

---

[١] فتح القدير ٢ / ٥٣٢ .

[٢] جامع البيان ٦ / ١٨٣ ، والتحرير والتنوير ٣ / ١٦١ .

[٣] معنى القرآن وإعرابه للزجاج ١ / ١٤٣ .

[٤] إرشاد العقل السليم ٢ / ٨ .

[٥] أنوار التنزيل وأسرار التأويل ٢/ ٧.

[٦] مفاتيح الغيب ٧ / ١٤٣.

[٧] الجامع لأحكام القرآن ٤/ ١٣ .

[٨] السابق ٤ / ١٩.

[٩] البحر المحيط ٣/ ٣١ .

جيد "[١] ، وجمع ابن القيم بين الزيغ والإزاغة فقال " فإزاغة القلب : إمالته إمالته عن الهدى ، وزيغه ميله عن الهدى إلى الضلال " [٢].

من خلال ما سبق يتضح ما يلي :

١-أن أصل الزيغ هو الميل، لكنه ميل عن الحق أو الاستقامة ، فهو أخص من الميل لأنه ميل عن الصواب [٣].

٢-أن اللفظ قد فسر من خلال السياق بمعان متعددة ، فهو ميل عن الحق ، أو جور وميل عن القصد، أو العدول عن الحق ، أو ميل وانحراف عن الحق ، أو ميل عن الاستقامة ، أو الانحراف عن جهة الصواب .

٣-أن العلماء أيضا قد اختلفوا في تفسير الإزاغة ، فهي فساد وميل عن الدين في نظر بعضهم أو ميل عن الهدى والقصد ، أو الضلالة كما فسرها أبو حيان في هذا الموضع ، أو تَعَبُّد الله العَبْدَ بما يكون سببا لزيغ قلبه ، وهي اجتهادات من العلماء، فالميل عن الدين فيه فساد ، وكذلك ينتج عن ضلال وضلالة في الرأي، والميل لا يكون إلا عن هدى وقصد... إلخ .

٤-أن الزيغ في القرآن كما جاء للقلب جاء للبصر في آيات عديدة في القرآن، وفسرت بالميل عن كل شيء إلا الأعداء، وذلك قوله تعالي: " وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر" [١] .

---

[١] معاني القرآن وإعرابه ٣٧٩/١ .

[٢] التفسير القيم ٥٤١/١.

[٣] التحرير والتنوير ٣ / ١٦١.

وفى قوله تعالي: "ما زاغ البصر وما طغي" [٢]أي: ما عدل عن رؤية العجائب التي أمر برؤيتها ومكن منها، أو ما مال بصره صلى الله عليه وسلم عما رآه [٣].

---

[١] الأحزاب آية ١٠.

[٢] النجم آية ١٧ .

[٣] الكشاف ٤ / ٣٠٠ ، وفتح القدير ٥ / ١٤٠.

١٠- تشابه القلوب :

قال تعالى : " وقال الذين لا يعلمون لولا يكلمنا الله أو تأتينا آية ، كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم تشابهت قلوبهم قد بينا الآيات لقوم يعقلون " [١]

الشبِّهْ والشَّبهُ والشَّبيه: المثل، والجمع أشباه، وأشبه الشيءُ الشيءَ: ماثله... وتشابه الشيئان واشتبها: أشبه كل واحد منهما صاحبه ، والمتشابهات من الأمور: المشكلات ، وهي أيضا المتماثلات[٢] والتشابه: الاستواء [٣].

وتشابه القلوب تماثلها في صفة من الصفات ، أو مرض من الأمراض ، كما حدث للكفار واليهود والنصارى ، حيث عاندوا وجادلوا وأبوا الإيمان إلا إذا كلمهم الله أو أتتهم آية من السماء .

وقد اختلف العلماء في الصفة التي تشابهت فيها هذه القلوب ، فبعضهم قال تشابهت في العمى [٤] .

وقيل في العمى والعناد [٥] ، وقيل في التعنت والافتراء وترك

---

[١] البقرة آية ١١٨ .

[٢] المحكم والمحيط الأعظم لابن سيدة ١٩٣/٤ ، واللسان " شبه " .

[٣] تاج العروس ٣٦ / ٤١١ .

[٤] الكشاف ١ / ١٨٢.

[٥] إرشاد العقل السليم ١ / ١٥٢ ، وأنوار التنزيل ١ / ١٠٣ .

الإيمان...، وقيل في الاتفاق على الكفر [١] ، وقيل تشابهت قلوبهم في العمى والجهل، وقيل في الكفر[٢] ، وقيل في القسوة ، وقيل في التعنت والافتراء ، وقيل في المحال [٣] ، وقيل في الغي والضلالة [٤].

إن العلماء حينما رأوا أن القرآن قد سكت عن نوع هذا التشابه، اجتهدوا في كشف هذا المتعلق، فكان الخلاف بينهم فيه، وكل صفة من هذه الصفات يحتملها السياق، فقد ورد العمى والقسوة وترك الإيمان والكفر صفات للقلب في سياقات أخرى، كما أن جهل القلب وتعنته وعناده أكبر أسباب كفره وعدم إيمانه ، وغيه وضلاله .

ولما كان الفعل واحدا رغم اختلاف الجنس والمعتقد،كانت القلوب متشابهة.

---

[١] الجامع لأحكام القرآن ٢ / ٩٢ .

[٢] معاني القرآن للفراء ١ / ٧٥ .

[٣] البحر المحيط ١ / ٥٨٧ ، وفتح القدير ١ / ١٧٥.

[٤] المفردات ص ٢٥٧.

١١-شتات القلب :

قال تعالى: "لا يقاتلونكم جميعا إلا في قرى محصنة أو من وراء جدر بأسهم بينهم شديد تحسبهم جميعا وقلوبهم شتي ذلك بأنهم قوم لا يعقلون"[١] .

الشَّتُّ: تفريق الشعب، يقال شت جمعهم شتاتا، وجاءوا أشتاتا: أي متفرقي النظام [٢] .

يقول ابن فارس : " الشين والتاء أصل يدل على تفرق ... من ذلك تشتيت الشيء المتفرق ، تقول : شَتَّ شَتُّهُم : أي تفرق جمعهم [٣].

وفسر الفراء قوله تعالى : " وقلوبهم شتى " بقوله : " وقلوبهم مختلفة ، ويقصد بذلك بني النضير كما أورد قراءة عبد الله بن مسعود " وقلوبهم أشت : أي أشد اختلافا " [٤] .

وفي اللسان "وقوم شتى: متفرقون"، وفي الحديث "يهلكون مهلكا واحدا ويصدرون مصادر شتى" وفي الحديث أيضا عن الأنبياء "وأمهاتهم شتى " أي دينهم واحد وشرائعهم مختلفة ، وجاء القوم أشتاتا: أي متفرقين "[٥] : وعلى هذا فسر الزمخشري الكلمة في سياق الآية بقوله : " تحسبهم جميعا

---

[١] الحشر آية ١٤.

[٢] المفردات ص ٢٥٨ ، وينظر العين ٦ / ٢١٤ .

[٣] المقاييس ٣ / ١٧٧.

[٤] معاني القرآن ٣ / ١٤٦ .

[٥] اللسان " شتت ".

" مجتمعين ذوي ألفة واتحاد " وقلوبهم شتى " متفرقة لا ألفة بينها ، يعني أن بينهم عداوات ، فلا يتعاضدون حق التعاضد ، ولا يرمون عن قوس واحدة " [١] وهذا يدل على أن اجتماعهم لا يكون إلا في الظاهر مع أن قلوبهم متباعدة تباعد السماء عن الأرضي ، يقول قتادة : " تحسبهم جميعا: أي: مجتمعين على أمر ورأي وقلوبهم شتى: متفرقة، فأهل الباطل مختلفة آراؤهم، مختلفة شهادتهم مختلفة أهواؤهم، وهم مجتمعون في عداوة أهل الحق" [٢]، وما يوحي به سياق الآية أنه يتكلم عن اليهود ، يعضد ذلك السياق المقامي ، حيث يتحدث من بداية الآية عن سمات خاصة بهم ، فهم أهل الحصون والقلاع ، وهم الذين لا يجتمعون في حرب إلا خلف الأسوار ، وهذا ما حدث في خيبر .

ويرى البيضاوي أن المراد بهم اليهود والمشركون ، حيث يرجع إلى سياق الآيات من أوله " ألم تر إلى الذين نافقوا يقولون لإخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب "[٣] فيقول : " وقلوبهم شتي " متفرقة ، لاختلاف عقائدهم ، واختلاف مقاصدهم "[٤] .

---

[١] الكشاف ٤/ ٣٧٢ .

[٢] فتح القدير ٥ / ٢٦٦ .

[٣] الحشر آية ١٠.

[٤] أنوار التنزيل وأسرار التأويل ٥ / ٢٠١ .

وفسر ابن عاشور القلوب بالعقول في هذا السياق، ثم قال : " شبهت العقول المختلفة مقاصدها بالجماعات المتفرقة في جهات ، في أنها لا تتلاقى"[١].

ويفهم من هذا العرض ما يلي :

١-أن أصل المادة يدل على التفرق ، ومنه الشتات ، والشتيت ، والتشتت، والتشتيت .

٢-أن اللفظة فسرت داخل السياق بالاختلاف أو التفرق، فقيل: " قلوبهم مختلفة، وقيل متفرقة، وقيل أيضا متباعدة، والمعاني كلها متقاربة .

٣-أن الأمر مداره على التشبيه ، حيث شبهت القلوب المتنافرة بالجماعات المتفرقة .

٤-أن بعض العلماء فسر القلوب في هذا السياق بالعقول والأفكار، والأهواء.

٥-أن العلماء اختلفوا في المخاطب في هذا السياق ، فبعضهم رأى أنه اليهود، لانطباق صفاتهم عليه، وبعضهم أضاف المشركين لسياق عموم الآيات، والله أعلم .

---

[١] التحرير والتنوير ١٠٦/٢٨، وإلي ذلك ذهب أبو حيان، حيث فسر اللفظة بقوله: "وأهواؤهم متفرقة ثم قال، فهم كالبهائم لا تتفق علي حالة واحدة" البحر المحيط١٠/١٤٦.

١٢- الإشراب :

يقول الله تعالى : " وإذ أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطُور خذوا ما آتيناكم بقوة واسمعوا قالوا سمعنا وعصينا وأشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم " [١] .

الشّربُ: تناول كل مائع، ماء كان أو غيره [٢] **، تقول شربت الماء أشربه شَرباً وشُربا ، والشراب: اسم لما يشرب**[٣] **، ويقال: فلان أشرب حب فلان أو فلانة إذا خالط هذا الحب قلبه، ومنه قوله وتعالى: "وأشربوا في قلوبهم العجل" أي حب العجل ، فحذف المضاف " حب" وأقيم المضاف إليه " العجل " مقامه ، يقول الفراء " فإنه أراد حب العجل، ومثل هذا مما تحذفه العرب كثير " .**

وهذا الرأي منسوب لقتادة وأبي العالية والربيع[٤] **لقد جعل الزمخشري ذلك من المجاز ، وتبعه في ذلك الزبيدي في التاج**[٥]**، يقول ابن عطية: "وأشربوا في قلوبهم العجل" التقدير: حب العجل، والمعنى جعلت قلوبهم تشربه وهذا تشبيه ومجاز عبارة عن تمكين أمر العجل في قلوبهم "**[٦] .

---

[١] البقرة آية ٩٣ .

[٢] المفردات ص ٢٦٠.

[٣] ينظر العين ٦ / ٢٥٦ " شرب " ، والمقاييس ٣ / ٢٦٧.

[٤] معاني القرآن للفراء ١/ ٦١ ، وينظر جامع البيان للطبري ٢/ ٣٥٧، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج ١/ ١٥١ واللسان " شرب " ، والتاج ٣ / ١١٠ .

[٥] ينظر أساس البلاغة ٢٣٢، والتاج ٣ / ١١٠ .

[٦] المحرر الوجيز ١ / ١٨٠ .

وحدد الرازي نوع هذا المجاز فقال : " وفي وجه هذه الاستعارة وجهان : الأول : تداخلهم حُبُّه والحرص على عبادته ، كما يتداخل الصبغ بالثوب، وقوله : "في قلوبهم" بيان لمكان الإشراب ... والثاني: كما أن الشرب مادة لحياة ما تخرجه الأرض فكذا تلك المحبة كانت مادة لجميع ما صدر عنهم من الأفعال "[١].

ونص ابن عاشور على نوع الاستعارة ووجه الشبه في هذه الاستعارة ، فقال: " واستعير لجعل الشيء ، متصلا بشيء وداخلا فيه ، ووجه الشبه هو شدة الاتصال والسريان ، لأن الماء أسرى الأجسام في غيره ... ولذلك استعاروا الإشراب لشدة التداخل استعارة تبعية " [٢] .

وردده الراغب أيضا بين التشبيه والاستعارة ، فقال : " قيل : هو من قولهم: أشربت البعير : شددت حبلا في عنقه..فكأنما شُدَّ في قلوبهم العجل لشغفهم ، وقال بعضهم :معناه :أُشْرِب في قلوبهم حب العجل ، وذلك أن من عاداتهم إذا أرادوا العبارة عن مخامرة حب أو بغض استعاروا له اسم الشراب، إذ هو أبلغ إنجاع في البدن "[٣] .

ثم بين بلاغة الحذف في هذا السياق فقال : " ولو قيل حب العجل لم تكن هذه المبالغة فإن في ذكر العجل تنبيها أن لفرط شغفهم به صارت صورة العجل في قلوبهم لا تنمحي "[٤].

---

[١] مفاتيح الغيب ٣ / ٦٠٤ .

[٢] التحرير والتنوير ١ / ٦١١ .

[٣] المفردات ص ٢٦٠ .

[٤] السابق الصفحة ذاتها.

مما سبق يتضح ما يلي :

١-أن المادة تدل على أصل واحد ، وهو تناول السوائل ، أو كما قال الراغب تناول كل مائع ، ماء كان أو غيره .

٢-أن الإشراب من هذه المادة يأتي كثيرا للتعبير عن المعاني المجازية ، وذلك كإشراب البعير، وهو شد حبل في عنقه ، وإشراب لون للون آخر ، كإشراب البياض الحمرة ، وكذلك إشراب القلب الحب أو البغض ، يقول الشاعر[الوافر]:

إذا ما القلب أشرب حب شيء فلا تأمل له عنه انصرافا [١]

وقد نبه ابن فارس على أن المادة أصل واحد منقاس مطرد ، وهو الشرب المعروف ، ثم يحمل عليه ما يقاربه مجازا وتشبيها " [٢] **.**

٣-أن لفظة الإشراب في هذا السياق قد اكتسبت معناها عن طريق المجاز، وتردد العلماء في تحديده بين التشبيه والاستعارة والكناية ، وكلها يحتملها اللفظ في سياقه .

٤-نسب لبعض المفسرين أن اللفظ على الحقيقة ، وأنهم سقوا الماء الذي ذري فيه سحالة العجل وهو رأي منسوب للسدي وابن جرير وغيرهما، وذلك اعتمادا على الأثر القائل بأن موسى برد العجل بالمبرد ورماه في

---

[١] البحر المحيط ١/ ٤٩٥، ولم ينسب هذا البيت لقائل معين، وفي روح المعاني ٣٢٦/١ وجاء عجزه في الدر المصون ٥/٢ بلفظ فلا تأمل له الدهر انصرافا.

[٢] المقاييس ٣ / ٢٦٧ .

الماء ، وقال لهم أشربوا ، فشربوا جميعا ، فمن كان يحب العجل ظهر أثر ذلك على شفتيه ، وهذا قول بعيد ، يرده كلمة " قلوبهم " فالشرب ليس بالفم .

١٣-الاشمئزاز :

قال تعالى : " وإذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة ، وإذا ذكر الذين من دونه إذا هم يستبشرون " [١].

ورد اللفظ صفة للقلب مرة واحدة ، وهي تتعلق بقلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة، وهو من الألفاظ التي قل ورودها في اللغة، ولذلك لا تشغل حيزا كبيرا في المعاجم العربية ، وهو من الألفاظ الثلاثية وهمزتها زائدة ، وتدل في أصل معناها على التقبض ، يقول ابن دريد : " الشمز : التقبض ، ومنه اشتقاق اشمأز عن كذا وكذا : أي تقبض عنه .. والمصدر الاشمئزاز "[٢] .

وفسر صاحب اللسان التقبض باجتماع بعض الشيء إلى بعض، فقال: "اشمأز اشمئزازا: انقبض واجتمع بعضه إلى بعض"[٣]، وفسر الاشمئزاز أيضا بالنفور، وقيل : نفور النفس عما تكره [٤] ، كما فسره

---

[١] الزمر آية ٤٥.

[٢] الجمهرة ٢ / ٨١١.

[٣] اللسان " شمز " .

[٤] التاج ١٥ / ١٨٠ ، وفتح القدير ٤ / ٦١٠ .

بالذعر من الشيء ، يقول أبو زيد: اشمأز الرجل: ذعر من الفزع "[١]، و زاد ابن الأعرابي معنى جديدا فقال: " اشمأزت: اقشعرت" [٢] ، واشمأز الشيء : كرهه ، ونسب هذا الرأي لكراع "[٣].

فأنت ترى أن اللفظ _ لغرابته _ قد تعددت الآراء في تفسيره حتى بلغت خمسا عند علماء اللغة ، وهي مرشحة للزيادة عند علماء التفسير، فيفسر قتادة اللفظ بمعنيين، فيقول : " نفرت قلوبهم واستكبرت[٤]، ويفسره أبو السعود بمعنيين أيضا فيقول: "أي انقبضت ونفرت" [٥] ثم يفسر الاشمئزاز تفسيرا لغويا فيقول: " أن يمتلئ غيظا وغما ينقبض منه أديم الوجه" [٦] فكأن انقباض الوجه ناتج عن الغم والغيظ الناشئ في قلوبهم والمتمكن من هذه القلوب، لكن ابن عطية جمع للفظ عدة معان، فاشمأزت نفوسهم معناه تقبضت كبرا أنفة وكراهية ونفورا"[٧] .

ويرى القرطبي أن أصل الاشمئزاز : النفور والازورار [٨] ويضيف المؤرج معنى جديدا ، فاشمأزت _ عنده _ أنكرت[٩] ، ويختار الشوكاني

---

[١] اللسان " شمز " ، والتاج ١٥/ ١٨٠ " شمز " ، وفتح القدير ٤ / ٦١٠ .

[٢] اللسان " شمز " .

[٣] التاج ١٥ / ١٨٠ .

[٤] جامع البيان ٢١ / ٣ .

[٥] إرشاد العقل السليم ٧ / ٢٥٧ ، وأنوار التنزيل للبيضاوي ٥ / ٤٤ .

[٦] السابق الجزء والصفحة ذاتها .

[٧] المحرر الوجيز ٤ / ٥٣٤ .

[٨] الجامع لأحكام القرآن ١٥ / ٢٦٤ .

[٩] فتح القدير ٤/ ٦١٠.

المعنى المناسب للمقام فيقول : " والمناسب للمقام تفسير اشمأزت بانقبضت ، وهو في الأصل الازورار [١] ، لكن ابن عاشور يختار معنى آخر مناسبا للمقام ، حيث تجرى مقابلة بين الاشمئزاز والاستبشار في الآية ، حيث تفسر إحداهما و تحدد معنى صاحبتها ، فإذا كان الاستبشار غاية الفرح ، فالاشمئزاز غاية الكراهية.[٢]

مما سبق يتضح ما يلي :

١-اختلف العلماء في أصل المادة ، فيرى علماء اللغة أن أصلها التقبض ، في حين يرى علماء التفسير أن أصلها النفور والازورار .

٢-نص بعض العلماء على دلالة اللفظ من خلال السياق، يستنتج ذلك من قول القرطبي: "والمناسب للمقام" وكذلك مقابلة ابن عاشور بين الاشمئزاز و الاستبشار و قول الزجاج في " اشمأزت : نفرت ، ثم يقول: وكان المشركون إذا قيل لهم لا إله إلا الله نفروا من هذا"[٣]،وهو يستعين في ذلك بالسياق المقامي.

٣-أن اللفظ- كغيره من الألفاظ القرآنية- قد تعددت معانيه، فهو التقبض والنفور وشدة الكراهية، والذعر والاقشعرار والإنكار، ووضع بعضهم قيدا لبعض هذه المعاني فيرى مثلا أن النفور وهو نفور النفس عما تكره، أو تقبضت كبرا وأنفة فكراهية ونفورا أو يعطف على المعنى

---

[١] السابق الجزء والصفحة ذاتها .

[٢] ينظر التحرير والتنوير ٢٤/ ٣٠ .

[٣] اللسان " شمز " .

فيقول:انقبضت ونفرت،أو نفرت قلوبهم واستكبرت،أو انقبض واجتمع بعضه إلى بعض، وهكذا.

١٤-ضيق الصدر :

قال تعالى : " فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا " [١] ، وقال سبحانه : " ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون " [٢] ، وقال تعالى : " وضائق به صدرك " [٣] وقال على لسان موسى عليه السلام " ويضيق صدري " [٤] .

الضيق : ضد السعة ، ويقال الضَّيْق أيضا [٥] ، ويقول ابن فارس : " الضاد والياء والقاف كلمة واحدة تدل على خلاف السعة ، وذلك هو الضيق [٦] ، يقال : ضاق الشيء يضيق ضِيقا ضَيْقاً .. وتضايق القوم : إذا لم يتوسعوا في خلق أو مكان[٧] ، ويطلق الضيق ويراد به الشك في القلب، والضيق أيضا: ما ضاق عنه صدرك [٨] ، ويطلق الضيق ويراد به الفقر

---

[١] الأنعام آية ١٢٥.

[٢] الحجر آية ٩٧.

[٣] سورة هود آية ١٢.

[٤] الشعراء آية ١٣.

[٥] المفردات ص ٣٠٣ .

[٦] المقاييس ٣ / ٣٨٣ .

[٧] اللسان " ضيق " .

[٨] السابق المادة ذاتها ، والتاج ٢٦ / ٤٧ .

وسوء الحال ، مفرده ضَيْقَة وضِيقَة [١] وضاق صدره حَرِجَ فهو ضيق ... وضاق بالأمر ذرعا : شق عليه ، والأصل : ضاق ذرعه: أي طاقته وقوته " [٢] .

وجعل الزمخشري ضيق الصدر من المجاز ، فقال : " وضاق عليّ صدره ، وله نفس ضيقة " [٣] ، وكذلك جعل منه الضيق بمعنى الفقر فقال: فقال: " وأصابته ضيقة : أي فقر " [٤].

وجعل ابن عاشور استعارة في ضيق الصدر كما يستعار لشرح الصدر، إذ يقول : " وقد استعير الضيق لضد ما استعير له الشرح فأريد به الذي لا يستعد لقبول الإيمان ولا تسكن نفسه إليه بحيث يكون مضطرب البال إذا عرض عليه الإسلام " [٥] ، وجعل الراغب الضيق في الصدر كناية عن الحزن ، فقال بعد أن جمع آيات الضيق : " كل ذلك عبارة عن الحزن. " [٦]

لقد ورد من مشتقات المادة في القرآن "ضاقت عليهم الأرض بما رحبت" [٧] وهو كناية عن شدة الغم الذي ملأ أنفسهم وصدورهم ، ويضيق

---

[١] السابق " ضيق " .

[٢] المصباح المنير ص ٣٦٧ " ضيق "

[٣] أساس البلاغة ص ٢٧٤.

[٤] السابق الصفحة ذاتها .

[٥] التحرير والتنوير ٨ / ٥٩ .

[٦] المفردات ص ٣٠٣ " ضيق " .

[٧] التوبة آية ١١٨.

جاء في وصف الصدر عن النبيين محمد وموسى عليهما السلام، الأول في قوله تعالى " ولقد نعلم أنه يضيق صدرك عما يقولون"[١] والثاني في قوله تعالى : " ويضيق صدري" [٢] .

والتعبير بالمضارع هنا للتجدد والحدوث ، أي يضيق الصدر كلما قالوا كلمة الكفر، وكذلك كلما تجدد اللقاء والحوار بين موسى وفرعون، والضَّيِّق مبالغة في الضِّيق والحنق من الشيء ، أما ضائق فقد جاء على وزن اسم الفاعل لكون الضيق عارضا في قلبه وليس ثابتا .

يقول الزمخشري: " فإن قلت : لم عدل عن ضَيِّق إلى ضائق . قلت : ليدل على أنه ضِيقٌ عارض غير ثابت، لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان أفسح الناس صدرا " [٣] .

وجعل ابن عاشور العدول عن ضَيِّق إلى ضائق لمراعاة النظير مع قوله تارك، وهذا أفضل في الفصاحة، ولأن ضائق ليس فيه دلالة على تمكن وصف الضِّيق من صدره، بخلاف ضَيِّق لأنه صفة مشبهة دالة على تمكن الوصف من الموصوف.. والضيق مستعمل مجازا في الغم والأسف، كما استعمل الانشراح . وهو ضده . في الفرح والمسرة.[٤]

يتضح مما سبق ما يلي :

---

[١] الحجر آية ٩٧.

[٢] الشعراء آية ١٣.

[٣] الكشاف ٢ / ٣٩٣.

[٤] التحرير والتنوير ١٢ / ١٦.

١-دلالة المادة على ضد السعة أو نقيض السعة .

٢-يدل لفظ الضيق على عدة معان ، منها الشك ، والفقر وسوء الحال ، والبخل والحزن و الغم والغيظ .

٣-بعض هذه المعاني اكتسبه اللفظ من خلال المجاز، (استعارة ، أو كناية) ومنه ضيق الصدر ، والبخل ... وغيرها .

٤-أن اختلاف الصيغة له أثر في اختلاف المعنى ، فضائق غير ضيق ، والضَّيق بالفتح ما ضاق عنه صدرك فيما لا يتسع ، وبالكسر فيما يتسع [١] .

١٥- عدم الطهارة :

قال تعالى : " أولئك الذين لم يرد الله أن يطهر قلوبهم لهم في الدنيا خزي ولهم في الآخرة عذاب عظيم " [٢].

لم أجد من علماء اللغة من عرف الطهارة، لا بالمرادف أو النظير أو المقارب، وذلك لتردد اللفظ بين عدة معان، حسية ومعنوية، ولذلك عرفوها بالنقيض أو الضد، فيقول الخليل: "والطهر: نقيض الحيض"[٣]، ويقول ابن دريد: والطهر ضد الدنس" [٤] ، وعرفها الفيروز آبادي بنقيض النجاسة [٥]

---

[١] التاج ٢٦ / ٤٧ .

[٢] المائدة آية ٤١ .

[٣] العين ٤ / ١٨ " طهر " واللسان " طهر " .

[٤] الجمهرة ٢ / ٧٦١ " طهر " .

[٥] القاموس المحيط ١ / ٤٣٢ ، والتاج ١٢ / ٤٤٢ .

، وقال ابن فارس:"والطهارة:اسم مصدر للطاهر"[١] دون أن يذكر لنا معنى الطاهر.

لكن الراغب حينما ذكر الطهارة قسمها قسمين:"طهارة جسم، وطهارة نفس وحمل عليهما عموم الآيات ، قال تعالى : " ويحب المتطهرين " أي التاركين للذنب والعاملين للصلاح ، ومنه " أطهر لقلوبكم " ، " أولئك الذين لم يرد الله أن يطهر قلوبهم " [٢] .

ويمكن مما سبق أن نستنبط معنى للطهارة يجمع كل ما تفرق ، وهو التخلي عن الدنس حسيا ومعنويا ، فالحسي مثل النجاسة والحيض والوسخ وغيرها، والمعنوية خلو القلب من أمراضه المهلكة وأهمها الكفر والنفاق، وهذا يفهم من تقسيم الراغب لمعنى الطهارة ومن هنا فإن عدم الطهارة ضد ذلك، سواء حسية أو معنوية، فالحسية كتلوث الجسم بالنجاسة، حيضا، ووسخا أو غير ذلك ، والمعنوية الكفر والنفاق والختم والطبع وغيرها. وبه فسر العلماء قوله تعالى : " أولئك الذين لم يرد الله أن يطهر قلوبهم " حيث قال الطبري " هؤلاء الذين لم يرد الله أن يطهر قلوبهم من دنس الكفر ووسخ الشرك بطهارة الإسلام ونظافة الإيمان"[٣].

---

[١] المقاييس ٢ / ٤٢٨ .

[٢] المفردات ٣١٠ " طهر " .

[٣] جامع البيان ١٠/ ٣١٧ ، وفتح القدير ٢/ ٥٥ حيث قال : " لم يرد تطهيرها من أرجاس الكفر والنفاق كما طهر قلوب المؤمنين ".

وقال القرطبي: " أي لم يرد أن يطهر قلوبهم من الطبع عليها والختم، كما طهر قلوب المؤمنين ثوابا لهم " [١] ويرى ابن عاشور أن التطهير هو التهيئة لقبول الإيمان والهدى ، أو قبول الإيمان [٢] ويفهم من كلامه أن عدم التطهير هو عدم التهيئة لذلك ، أو عدم قبول الإيمان ، ويرى الزمخشري أن الله لم يمنحهم من الطاقة ما يطهر به قلوبهم لأنهم ليسوا من أهلها " [٣] فكان الجزاء من جنس العمل ، فلكفرهم وعنادهم لم يطهر قلوبهم .

لقد جعل الزمخشري التطهر من الإثم من المجاز ، وكذلك قولك طهره الله ، والتوبة طهور للمذنب [٤] .

ويتضح مما سبق ما يلي :

١-أن الطهارة خلو الإنسان من النجاسة الحسية والمعنوية ، وقد فسرها العلماء بالضد أو النقيض .

٢-أن عدم الطهارة فسرت من خلال السياق بالكفر أو الشرك أو النفاق ، أو الختم والطبع .

٣-أن الطهارة في القلب أو عدمها اكتسبت دلالتها عن طريق المجاز.

١٦-الغلظ :

---

[١] الجامع لأحكام القرآن ٦/ ١٨٢.

[٢] التحرير والتنوير ٦/ ٢٠١ .

[٣] الكشاف ٢/ ٢٩ .

[٤] أساس البلاغة ص ٢٨٥ " طهر ".

قال تعالى : " ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك " .[١]

الغلظة ضد الرقة في الخلق والطبع والفعل والمنطق والعيش ونحو ذلك[٢]، وأصله أن يستعمل في المحسوسات ، ثم يستعار بعد ذلك للمعاني، يقول الراغب " وأصله أن يستعمل في الأجسام ، لكن يستعار للمعاني " [٣] ، " ورجل غليظ : فظ فيه غلظة : ذو غلظة وفظاظة و قساوة وشدة " [٤]. ويقال : " غلظ الشيء خلاف دق ، وغلظ الرجل : اشتد فهو غليظ " [٥] .

لقد جمعت الآية السابقة بين لفظين قريبين في المعنى ، وهما الفظاظة والغلظ ، ويرى بعض العلماء أنهما بمعنى ، وجمعهما في الآية على سبيل التوكيد [٦]، لكن كثيرا من العلماء فرقوا بينهما، فالفظ : الجافي، الجافي، والغليظ القلب: القاسي القلب[٧] ، وقيل الفظ : الجافي سيئ الخلق الخلق ، وقيل: الفظ في القول ، وغلظ القلب في الفعل[٨] ، لكن ابن عطية عطية يرى أن الفظاظة : الجفوة في المعاشرة قولا وفعلا، أما غلظ القلب فهو عبارة عن تجهم الوجه وقلة الانفعال وقلة الإشفاق والرحمة"[٩] ، ويرى

---

[١] آل عمران آية ١٥٩.

[٢] اللسان " غلظ ".

[٣] المفردات ص ٣٦٦ " غلظ " .

[٤] اللسان " غلظ " .

[٥] المصباح المنير ص ٤٥٠ " غلظ ".

[٦] البحر المحيط ٣ / ٤٠٨ .

[٧] جامع البيان ٧ م ٣٤١.

[٨] الكشف والبيان ٢ / ١٩٠ .

[٩] المحرر الوجيز ١ / ٥٣٣ .

ويرى أبو حيان أن الفظاظة تجمع أيضا بين القول والفعل، وغلظ القلب صلابته فلا يلين ولا يتأثر ، وعن الغلظ تنشأ الفظاظة [١] . و يجمع ابن عاشور في الفظاظة بين سوء الخلق وجفوة الطبع ، أما الغلظة فهي مجاز عن القسوة وقلة التسامح، فأنت ترى أن الوصفين: "فظا– غليظ القلب" جعلهما بعض العلماء وصفا للقلب ، وهما بمعنى واحد ، وقد جمع بينهما على سبيل التوكيد، وبعضهم فسر الفظاظة بالغلظ، حيث يقول القرطبي: "والفظ: الغليظ الجافي" [٢]، وبعض العلماء جعل الفظاظة في المنطق والغلظ في الفعل ، وبعضهم يجمع الفظاظة بين القول والفعل ، وبعضهم يرى أن الفظاظة تجمع بين سوء الخلق وجفوة الطبع .

وكما ترى أن الغلظة اكتسبت معنى القسوة عن طريق المجاز ؛ لأن الغلظة ضد الرقة أو الدقة ، فأصلها المحسوس ثم تتحول إلى المعنوي عن طريق الاستعارة .

وكذلك يرى بعض العلماء أن الفظاظة باعتبارها قولا تنشأ عن غلظ القلب ، أي قسوته فالأولى مترتبة على الثانية .

١٧-الغل :

---

[١] البحر المحيط ٣ / ٤٠٨ .

[٢] الجامع لأحكام القرآن ٤ / ٢٤٨.

قال تعالى: "ونزعنا ما في صدورهم من غل إخوانا على سرر متقابلين"[١]، وقال سبحانه "ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا"[٢]، "ونزعنا ما في صدورهم من غل تجري من تحتهم الأنهار"[٣].

" والغين واللام أصل يدل على تخلل شيء وثبات شيء، كالشيء يغرز ، من ذلك قوله " غللت الشيء في الشيء " ... ومن الباب الغل : هو الضغن ، ينغل في الصدر"[٤]، يقال غل صدره، يغل غلا: إذا كان ذا غش أو ضغن أو حقد"[٥] ، وأضاف بعضهم العداوة ، فقيل الغل والغليل : الغش والعداوة والضغن [٦].

وفسره الزجاج بالحسد ، لأنه منه، فقال في قوله تعالى : "ونزعنا ما في صدورهم من غل" "حقيقته _ والله أعلم _ أنه لا يحسد بعض أهل الجنة بعضا في علو المرتبة ؛ لأن الحسد غل، وهو أيضا كدر، والجنة براءة من ذلك"[٧] وقوله: "لأن الحسد غل، أي: ينتج عنه، ويخرج منه؛ لأن الحاسد يغلي قلبه وتتحرك نفسه على من حسده، وهو غل؛ لأنه من الغليل، وهو حرارة الجوف، بل حره . كما ذكر صاحب اللسان ، وهو كدر ؛

---

[١] الحجر آية ٤٧.

[٢] الحشر آية ١٠.

[٣] الأعراف آية ٤٣.

[٤] المقاييس ٤/ ٣٧٥ ، ٣٧٦ .

[٥] اللسان " غلل " .

[٦] السابق المادة ذاتها.

[٧] السابق المادة ذاتها .

لأن صاحبه يتكدر مزاجه حين يغلي قلبه ، ويتكدر مزاج المحسود حين يحسد ، ويتكدر نظام المجتمع حين ينتشر هذا الغل والحسد، ورفض ابن عاشور جعل الحسد منه ، قال بل هو إحساس باطني آخر[١] ، ورغم ذلك فهو أحد ثماره .

وورد في الحديث "ثلاثة لا يغل عليهن قلب مؤمن"بفتح الغين""يغَل" وضمها " يغُل "فمن أخذ برواية الفتح فإنه أراد الضغن والشحناء، أو الحقد والشحناء ، ومن أخذ برواية الضم"يغُل" فهو من الإغلال، وهو الخيانة في الشيء [٢] .

لقد فسر علماء التفسير الغل بمعان متعددة ، فروى الطبري عن الضحاك أن معناه العداوة، وعن قتادة أنها الإحن ، وفسرها الطبري نفسه بالحقد والغمر والعداوة [٣] ، وقال ابن عطية : " الغل : الإحنة الخفية في النفس ومنه الغلول ، أَخْذٌ في خفاء " [٤] وجعله الرازي من الإغلال في الجوف والتغلغل وفسره بالحقد الكامن في القلب [٥] .

---

[١] التحرير والتنوير ٨ / ١٣١.

[٢] ينظر النهاية في غريب الحديث لابن الأثير٣/٣٤١، والتهذيب المستدرك علي الجزء السابع والثامن ص ٩٣ ، والمقاييس ٤/ ٣٧٦ .

[٣] ينظر جامع البيان ١٢ / ٤٣٧ .

[٤] المحرر الوجيز ٢ / ٤٠١.

[٥] مفاتيح الغيب ١٩ / ١٤٨ ، وانظر الدر المصون ١٩ / ٤٦٧ .

وفسره ابن عاشور بالحقد و الإحنة والضغن التي تحصل في النفس عند إدراك ما يسوؤها من عمل غيرها " [١] .

ويفهم مما سبق ما يلي :

١-أن المادة تدل على تغلغل شيء في شيء وثباته فيه ، ومنه تغلغل الماء، وكذلك الغل والغلة والغليل : شدة العطش وحرارته ، قل أو كثر .

٢-أن الغل مأخوذ من الإغلال والتغلغل لكونه حقدا كامنا في الصدر، أو من الغل والغليل ، وهو حرارة الجوف .

٣- فسر الغل بمعان كثيرة، فهو الحقد، والضغن، والغمرة والعداوة، والشحناء والإحنة، والغش، والحسد، والكدر، وبعضهم فسره بمعنيين (متقاربين) معا ، فهو الحقد و الإحنة الخفية في النفس ، أو الضغن والشحناء ، أو الحقد والشحناء ، وبعضهم جمع له ثلاثة معان: فهو الحقد والغمر والعداوة ، وهذا كلام الطبري، وقيل: الحقد والإحنة والضغن، وهو كلام ابن عاشور، وبعضهم فسره بالغش والعداوة، والضغن، وهذا ما أورده صاحب اللسان، وبعضهم أورد معنى مقيدا، فهو حقد كامن في الصدر، أو إحنة خفية في النفس، أو ضغن ينغل في الصدور.

٤- أن الغل جاء وصفا للصدر مرتين وللقلب مرة في القرآن ، واقترن بالنزع في الصدر " ونزعنا ما في صدورهم من غل " والنزع : قلع الشيء من موضعه ، والقلع فيه شدة وصعوبة ، ولذلك اقترن بالملك والروح ، وفي هذا دلالة على شدته وصعوبته ، أما في القلب فكان الدعاء بانتقائه

---

[١] التحرير والتنوير ٨ / ١٣١ .

عنه " ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا " و اقترانه بالصدر والقلب دلالة على أن أحدهما قد يطلق ويراد به صاحبه: فالصدر المراد به القلب ، والله أعلم .

١٨-**الغمرة** :

قال تعالى : " بل قلوبهم في غمرة من هذا ولهم أعمال من دون ذلك هم لها عاملون " [١].

" الغين والميم والراء أصل صحيح يدل على تغطية وستر في بعض الشدة ، ومن ذلك الغمر : الماء الكثير ، وسمي بذلك لأنه يغمر ما تحته"[٢] **يقول ابن سيده: " ماء غمر: كثير مغرق : بين الغمورة "** [٣] **، ورجل غمر الرداء وغمر الخلق: أي واسع الخلق، كثير المعروف، سخي"**[٤].

ومن الباب الغمرة ، ومعناها الانهماك في الباطل واللهو ، وسميت بذلك ؛ لأنها شيء يستر الحق عن عين صاحبها، وسميت شدائد الموت التي تغشي الإنسان بغمرات الموت ، وكذلك سميت الشدائد بالغمرات [٥]

---

[١] المؤمنون آية ٦٣.

[٢] المقاييس ٤/ ٣٩٢.

[٣] اللسان " غمر".

[٤] السابق " غمر ".

[٥] ينظر المقاييس ٤ / ٣٩٣.

ومن ذلك ما ورد من حديث مرضه صلى الله عليه وسلم " أنه اشتد به حتى غمر عليه " أي : أغمي عليه، كأنه غطى على عقله وستر " [١].

" والغمر – بالكسر ، الحقد في الصدر ، سمي بذلك لانطواء الصدر عليه ، يقال : غمر عليه صدره "[٢] وقيل : هو الحقد المكنون [٣] . وغِمْرٌ _ بالكسر _ تقوله بنو عقيل للصبي الذي لا عقل له ، ويجعله أبو زيد لكل من لا خير فيه ، ولا غناء عنده في عقل ولا رأي ولا عمل"[٤] .

والغمرة في قوله تعالى: " بل قلوبهم في غمرة من هذا " فسرها بعضهم بالعمى عن القرآن أي : ما غمر قلوبهم فغطاها عن الفهم [٥] ، وفسرها بعضهم بالضلال الذي غمرها كما يفعل الماء الغمر بما حصل فيه " [٦] ، وقال العتبي : في غطاء وغفلة ، والغمرة : حيرة الكفار [٧] ، وفسرت الغمرة الغمرة في غير هذا الموضع بالجهل ، وهذا رأي الفراء في قوله تعالى : " فذرهم في غمرتهم حتى حين " وقال الزجاج: وقرئ في غمراتهم: أي في عمايتهم وحيرتهم[٨] ، فالغمرة على هذا عمى أصاب قلوبهم فغطى عليها

---

[١] النهاية في غريب الحديث والأثر ٣/ ٣٤٥.

[٢] المقاييس ٤ / ٣٩٣ ، ٣٩٤ .

[٣] المفردات ص ٣٦٧ " غمر " .

[٤] المصباح المنير ص ٤٩٣ " غمر " .

[٥] جامع البيان ١٩ / ٤٨ .

[٦] المحرر الوجيز لابن عطية ٤ / ١٤٩ .

[٧] اللسان " غمر ".

[٨] السابق " غمر ".

حتى صارت لا تميز الحق من الباطل، بل لا تقبل الهدى، ومن هنا فسرت بالعمى، والضلال الذي غمر القلوب ، والضال حائر، وبالتالي فسرت بالحيرة، والتغطية بالنسبة للعمى أمر واضح.

١٩-الغيظ :

قال تعالى:"ويذهب غيظ قلوبهم ويتوب الله على من يشاء والله عليم حكيم"[١]

" الغيظ : صفة تغير في المخلوق عند احتداده ، يتحرك لها " [٢] .

وأصل المادة كلمة واحدة تدل على كرب يلحق الإنسان من غيره ، يقال: غاظني يغيظني "[٣] " والغيظ : الغضب ، وقيل : غضب كامن للعاجز للعاجز ، وقيل : هو أشد من الغضب ، وقيل : هو سورته وأوله " [٤] ، ويرى الفيومي أنه " الغضب المحيط بالكبد، وهو أشد الحنق" [٥] ، والقول بأنه غضب كامن للعاجز ، يوحي بأن ثمة فرقا بينه وبين الغضب، وهذا ما أشار إليه الزبيدي ، حيث ذكر بأن الغيظ هو الكامن ، والغضب الظاهر ، كما أشار إلى فرق آخر ، هو أن الغيظ للعاجز ، والغضب للقادر [٦] .

---

[١] التوبة آية ١٥.

[٢] النهاية ٣ / ٣٦٠ " غيظ ".

[٣] المقاييس ٤ / ٤٠٥ " غيظ ".

[٤] اللسان " غيظ ".

[٥] المصباح المنير ص ٤٥٩ .

[٦] تاج العروس ٢٠ / ٢٤٨.

وذهاب الغيظ: زواله عن القلب ونقاء القلب منه، ولذلك يقول ابن عاشور: "والمراد بذهاب الغيظ:استراحتهم من تعب الغيظ وتحرق الكبد" [١]، ويرى بعض العلماء أن شفاء الصدر وإذهاب غيظ القلب كلاهما بمعنى، فيكون تكرارا " [٢] وكأن التكرار _ على هذا الرأي _ جاء للتوكيد ، ورده بعضهم بأن الشفاء جاء للصدر ، وذهاب الغيظ جاء للقلب والصدر أعم من القلب [٣] .

لكن المتأمل لمواقع الصدر والقلب في القرآن يرى أنهما يتناوبان المواضع في الآيات ، وبالتالي لا يستغرب أن يكون الشفاء إذهاب الغيظ _ وإن اختلفت العبارة _ إلا أن المعنى واحد، فذهاب الغيظ يصحبه شفاء؛ لأن الغيظ مرض ، والشفاء منه مطلوب .

وهذا ما عناه ابن عاشور بقوله : " الشفاء : زوال المرض ومعالجة زواله . أطلق هنا الاستعارة لإزالة ما في النفوس من تعب الغيظ والحقد، كما استعير ضده وهو المرض لما في النفوس من الخواطر الفاسدة في قوله تعالى : " في قلوبهم مرض " [٤] ، ومن هنا تبين أن الغيظ مرض قلبي ، عبر عنه بصفة تغير في المخلوق عند احتداده وهذا التعريف يلحظ شكل الإنسان حال الغيظ ، وقيد هذه الحالة بالاحتداد .

---

[١] التحرير والتنوير ١ / ١٣٦ وما بعدها .

[٢] غرائب القرآن و رغائب الفرقان ٣ / ٤٣٨.

[٣] السابق والصفحة ذاتها و فتح القدير للشوكاني ٢/ ٤٤٠.

[٤] البقرة آية ١٠ ، والتحرير والتنوير ١٠ / ١٣٦.

كما تبين أن بعض العلماء فسروه بالغضب ، لكن البعض الآخر جعله أشد الغضب وبعضهم جعله أوله وسورته ، وجعله الفيومي غضبا محيطا بالكبد ، وفرق بعضهم بين الغضب والغيظ ، فالغيظ للعاجز والغضب للقادر ، أو أن الغيظ يكون كامنا والغضب يكون ظاهرا .

كما نتبين بأن ذهاب الغيظ انقشاعه عن القلب وإحلال الشفاء محله، وهي صفة للمؤمنين . ونتبين أيضا أن السياق جمع بين شفاء الصدر وذهاب غيظ القلب مما يؤكد الصلة الوثيقة بين الاثنين وهو ما دعا البعض للقول بأن التكرار للتأكيد .

٢٠- تقطع القلوب :

قال تعالى:" لا يزال بنيانهم الذي بنوا ريبة في قلوبهم إلا أن تقطع قلوبهم والله عليم حكيم " [١]

أصل القطع: الفصل ، وقيل : إبانة بعض أجزاء الجرم من بعض فصلا ، تقول : قطعه يقطعه قطعا وقطيعة، والفصل يكون بالبصر ، مثل قطعت العضو، ويكون بالبصيرة ، تقطع الأشياء المعقولة ، ومنه قوله تعالى " ما كنت قاطعة أمرا " [٢] ، والقطع والقطيعة : الهجران ضد الوصل.

وتقطع القلوب: أي جعلها قطعا قطعا ، وهذا كناية عن الموت ، ولذلك فسرها الراغب بقوله: " أي إلا أن يموتوا " [٣] ، وقد تكون كناية عن الندم

---

[١] التوبة آية ١١٠.

[٢] المفردات ص ٤٠٨ " قطع ، واللسان " قطع " .

[٣] المفردات ص ٤٠٨.

والحسرة بعد التوبة ، وفي هذا يقول أيضا " إلا أن يتوبوا توبة بها تتقطع قلوبهم ندما على تفريطهم " [١] .

والكلمة ذكرت في سياق الآية التي تحكي عن جماعة من المنافقين بنوا مسجدا ضرارا ، غرضهم منه زرع الشك في قلوب المؤمنين والإضرار بهم ، فبين سبحانه أن هذا البنيان سيكون شكا ونفاقا في قلوبهم ، وقيل حسرة وندامة في قلوبهم ، وقيل : حرارة وغيظا ، وستظل هذه الريبة دائمة إلا أن تقطع قلوبهم : أي تتقطع قلوبهم قطعا، وتتفرق أجزاء ، إما بالموت أو بالسيف [٢] ، أو بالحزن وبالبكاء أو يتوبوا توبة نصوحا يكون معها من الندم والحسرة على الذنب ما يقطع القلوب هما وفكرة [٣] ، وقيل حتى تنشق قلوبهم غما وحسرة [٤].

وذكر ابن عاشور أن قوله تعالى:"إلا أن تقطع قلوبهم"استثناء تهكمي، ومن قبيل تأكيد الشيء بما يشبه ضده، كقوله تعالى:"ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط"[٥]أي: يبقي ريبة أبدا إلا أن تقطع قلوبهم منهم، وما هي بمقطعة"[٦].

ويفهم مما سبق ما يلي :

---

[١] السابق الصفحة ذاتها .

[٢] فتح القدير ٢ / ٥٢٠ .

[٣] المحرر الوجيز ٣ / ٨٦ .

[٤] مفاتيح الغيب ١٦ / ١٤٩ .

[٥] الأعراف آية ٨٠.

[٦] التحرير والتنوير ١١ / ٣٦ .

١-أن القطع معناه الفصل ، ويكون في المحسوسات والمعقولات .

٢-أن تقطع القلوب إما أن يكون كناية عن الموت ، أو كناية عن الحسرة والندامة ، أو الغم والحسرة .

٣-يرى ابن عاشور أنه استثناء تهكمي ، وفي هذا يكون تأكيدا للشيء بما يشبه ضده .

٢١- **قسوة القلب** :

قال تعالى: " ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة " وقال سبحانه: " وجعلنا قلوبهم قاسية يحرفون الكلم عن مواضعه" [١] ، وقال أيضا "فلولا إذ جاءهم بأسنا تضرعوا ولكن قست قلوبهم وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون " [٢] ، وقال : " ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون "[٣].

أصل القسوة: الصلابة في كل شيء ، تقول حجر قاس: صلب ، وليلة قاسية: باردة شديدة الظلمة[٤] ، وقيل: القسوة صلابة في شدة، يقول ابن

---

[١] المائدة آية ١٣ .

[٢] الأنعام آية ٤٣.

[٣] الحديد آية ١٦.

[٤] ينظر العين ٥ / ١٨٩ " صلب " ، واللسان " صلب " .

فارس: " والقاف والسين والحرف المعتل : يدل على شدة وصلابة " [١] ، وأرض قاسية لا تنبت شيئا ، وعام قَسِيّ : ذو قحط. [٢]

وقساوة القلب: غلظته وشدته، تقول: " قسا قلبه قسوة وقساوة وقساء . بالفتح والمد . وهو غلظ القلب وشدته "[٣] ، وفسر الزجاج القسوة بالغلظ واليبس والصلابة، فقال: " تأويل قست في اللغة ويبست وصلبت وتأويل القسوة في القلب، ذهاب اللين والرحمة والخضوع والخشوع منه " [٤] ، وقسوة القلب مجاز ، وأصلها من قسوة الحجر ، وقد أشار إلى ذلك ابن فارس بقوله : "والقسوة: غلظ القلب وهي من قسوة الحجر"[٥]، وصرح ابن عاشور أنها جاءت على سبيل الاستعارة ، فقال : " وجعلنا قلوبهم قاسية " قساوة القلب مجاز ، إذ أصلها الصلابة والشدة ، فاستعيرت لعدم تأثر القلوب بالمواعظ والنذر " [٦] .

لقد ورد من مشتقات المادة في القرآن صيغة الفعل الماضي" قست " وهي أغلب ما جاء في القرآن ، ثم صيغة اسم الفاعل قاسية ، و جاءت في قراءة الكوفيين " قسية " على فعيلة ، وهي من صيغ المبالغة ، للدلالة على شدة القسوة وغلظها ، يقول ابن عطية في قوله تعالى : " قاسية "

---

[١] المقاييس ٥ / ٨٧ .

[٢] والتهذيب ٩/ ٢٢٥ " قسا " تهذيب اللغة ٩/ ٢٢٥ ، واللسان " قسا " .

[٣] اللسان " قسا " .

[٤] معاني القرآن وإعرابه ١ / ١٢٨ وقارن بالتهذيب ٩ / ٢٢٥ ، واللسان " قسا " .

[٥] المقاييس ٥ / ٨٧.

[٦] التحرير والتنوير ٦ / ١٣٤.

غليظة يابسة عن الإيمان بي والتوفيق لطاعتي ، منزوعة منها الرأفة والرحمة ، وقرأ عامة الكوفيين " قسية " ثم اختلف الذين قرأوا ذلك كذلك في تأويله ، فقال بعضهم : معنى ذلك معنى القسوة ، لأن فعيلة في الذم أبلغ من " فاعلة" [١] .

ويرى بعضهم أن " قسية" مأخوذة من الدراهم القسية، أي التي يخالط فضتها نحاس أو رصاص، وهي الدراهم المغشوشة ، والمعنى على ذلك : القلوب التي يخالط إيمانها دخل من كفر أو شرك أو نفاق[٢].

ويرجع المبرد المعنى في قسية إلى الشدة حتى يطرد المعنى في المادة كلها فقال : " سمي الدرهم الزائف قسيا لشدته بالغش الذي فيه ، وهو يرجع إلى المعنى الأول " [٣] ، وذلك لأن الفضة الخالصة غير المغشوشة تكون لينة ، يقول الزمخشري : " وقرأ عبد الله " قسية " أي ردية مغشوشة ، من قولهم درهم قسي ، وهو من القسوة ، لأن الذهب والفضة الخالصين فيهما لين ، والمغشوش فيه يبس و صلابة " .[٤]

ومن هنا يتبين ما يلي :

---

[١] المحرر الوجيز ٢ / ١٦٩.

[٢] ينظر السابق ٢ / ١٦٩ ، ومفاتيح الغيب ١١ / ٣٢٥ ، والبحر المحيط ٤ / ٢٠٤ .

[٣] البحر المحيط ٤ / ٢٠٤ .

[٤] الكشاف ٢ / ١٥ ، وانظر البحر المحيط السابق .

١-أن المادة تدور حول الصلابة والشدة، ومنها حجر قاس، وليلة قاسية، وعام قاس وأرض قاسية، وكلها تدور حول هذا المعنى .

٢-أن القلب القاسي مشتق من هذا المعنى، وإليه أشار ابن فارس، فهو من قسوة الحجر ، وهو اشتقاق معنوي من حسي .

٣-أن لفظ القسوة قد فسر بعدة معان متقاربة ، منها الغلظ واليبس والصلابة وفي القلوب بالغلظ والجفوة والجفاء وعدم الليونة أو نائية عن قبول الحق منصرفة عن الانقياد للدلائل[١] أو غليظة يابسة عن الإيمان بي والتوفيق لطاعتي ، منزوعة منها الرأفة والرحمة [٢] ، وهي معان مستفادة من سياق الآية بعضها بالمرادف ، وبعضها بالعبارة والشرح.

٤-أن القسوة في القلب قد جاءت عن طريق المجاز، حيث استعيرت الصلابة للقلب من صلابة الحجر وشدته ، وهو عدم تأثر القلب بالمواعظ.

٥-أن "قاسية " وردت فيها قراءتان، الثانية منها " قسية " على فعيلة، وفيها دلالة على شدة القسوة وغلظها .

٢٢-الكبر والتكبر والاستكبار :

قال تعالى : " وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبي واستكبر وكان من الكافرين "[٣] وقال سبحانه : " لقد استكبروا في أنفسهم

---

[١] ينظر مفاتيح الغيب ١١ / ٣٢٥ ، والبحر المحيط ٤ / ٢٠٤.

[٢] جامع البيان للطبري ١٠ / ١٢٦.

[٣] البقرة آية ٢٤ .

وعتوا عتوا كبيرا " [١] وقال أيضا :" ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة أليس في جهنم مثوي للمتكبرين "[٢] وقال سبحانه : " كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار "[٣] وقال أيضا: "إن الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان أتاهم إن في صدورهم إلا كبر ما هم ببالغيه " [٤] والآيات في القرآن بهذه المعاني كثيرة.

"الكاف والباء والراء أصل صحيح يدل على خلاف الصغر" [٥] يقول الراغب: "الكبير والصغير من الأسماء المتضايفة التي تقال عند اعتبار بعضها ببعض ، فالشيء قد يكون صغيرا في جنب شيء وكبيرا في جنب غيره" [٦] ، وكل مشتقات المادة تدور حول هذا المعنى ، تقول : كبر الشيء كبرا . بضم الكاف . من باب قرب قربا :عظم، فهو كبير[٧] وكبر كِبرا كِبرا أو كُبرا فهو كبير وكُبَار وكُّبار- بالتشديد إذا أفرط [٨]، والكبير في صفة الله تعالى : العظيم الجليل، والمتكبر: الذي تكبر عن ظلم عباده، والكبرياء عظمة الله[٩] والكبر: الرفعة والشرف – ويضم فيهما ... والكبر:

---

[١] الفرقان آية ٢١ .

[٢] الزمر آية ٦٠.

[٣] غافر آية ٣٥.

[٤] غافر آية ٥٦.

[٥] المقاييس ٥ / ١٥٣.

[٦] المفردات ص ٤٢٣.

[٧] المصباح المنير ص٥٢٣ " كبر " .

[٨] اللسان " كبر ".

[٩] السابق " كبر ".

الإثم الكبير، والاستكبار: التعظم [١] ، والكبر والتكبر والاستكبار ، رغم اختلاف صيغها . تتقارب معانيها ، " فالكبر : الحالة التي يتخصص بها الإنسان من إعجابه بنفسه ، وذلك أن يرى الإنسان نفسه أكبر من غيره ، وأعظم التكبر، التكبر على الله بالامتناع من قبول الحق والإذعان له بالعبادة، والاستكبار يقال على وجهين : أحدهما: أن يتحرى الإنسان ويطلب أن يكون كبيرا، وذلك متى كان على ما يجب، وفي المكان الذي يجب، وفي الوقت الذي يجب؛ فمحمود، والثاني أن يتشبع فيظهر من نفسه ما ليس له، وهذا هو المذموم، وعلى هذا ما ورد في القرآن، وهو مثل قوله تعالى: " أبى واستكبر ".. والتكبر يقال على وجهين: أحدهما أن تكون الأفعال الحسنة كثيرة في الحقيقة وزائدة على محاسن غيره ، وعلى هذا وصف الله تعالى بالتكبر ،... والثاني أن يكون متكلفا لذلك متشبعا وذلك في وصف عامة الناس ، نحو قوله تعالى " فبئس مثوى المتكبرين " ... ومن وصف بالتكبر على الوجه الأول فمحمود ، ومن وصف به على الوجه الثاني فمذموم[٢].

لقد فسر بعض العلماء الكبر بالعظمة، ونسب هذا القول لمجاهد[٣]، والصحيح أنه ادعاء العظمة؛ لأن صاحبه لا يستحقه، ولذلك يقول ابن عاشور: "فما بلغوا الفضل على غيرهم حتى يتكبروا، ولا مطمع لهم في

---

[١] تاج العروس ١٤ / ٨ .

[٢] المفردات ص٤٢٣، ٤٢٤، والتاج ٨/١٤، وقد عزاه للفيروزآبادي في بصائر ذوي التمييز، وهو منقول بلفظه من المفردات.

[٣] ينظر جامع البيان ٢١ / ٤٠٤.

حصول آثار كبرهم، كما قال تعالى:"لقد استكبروا في أنفسهم وعتوا عتواً كبيراً" ، وجعله من الانفعالات النفسية التي تُشعر الإنسان أنه أعظم من غيره فلا يرضى بمساواته أو متابعته [١] .

والاستكبار: الامتناع عن قبول الحق معاندة وتكبرا .

ويلاحظ من خلال سياق الآيات التي تناولت مادة الكبر بمشتقاتها المختلفة، أنها قد جاءت في كثير من المواضع غير متصلة بالقلب، أو الصدر، ولكنها جاءت في بعضها متصلة بالقلب أو الصدر كما سبق، فهل الصدر هنا بمعنى القلب ، أو العكس ، أو كل منهما بمعنى ؟

. يجيب على ذلك ابن عاشور بقوله : " وأطلق الصدور على القلوب مجازا بعلاقة الحلول والمراد ضمائر أنفسهم ، والعرب يطلقون القلب على العقل ؛ لأن القلب هو الذي يحس الإنسان بحركته عند الانفعالات النفسية من الفرح وضده والاهتمام بالشيء ، والكبر من الانفعالات النفسية"[٢].

بقي أن نقول: هل يعد التكبر صفة من صفات القلب أولا ؟ وللجواب على ذلك نورد القراءات التي وردت لكلمة متكبر في قوله تعالى : " كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار " قرأ ابن عامر وأبو عمرو وقتيبة عن الكسائي "قلبٍ متكبِّرٍ" منونا ، وعلى هذا يعد التكبر صفة للقلب، وقرأ الباقون بغير تنوين على إضافة القلب إلى المتكبر ، وعلى هذا فالتكبر ليس صفة للقلب ، واختاره بعضهم لأن وصف الإنسان بالتكبر أولى من

---

[١] التحرير والتنوير ٢٤ / ١٧٣ .

[٢] التحرير والتنوير ٢٤ / ١٧٣.

وصف القلب به ، والمرجحون للرأي الأول قالوا إن الكبر أضيف إلى القلب في قوله تعالى : " إن في صدورهم إلا كبر" وقوله تعالى : " فإنه آثم قلبه " [(١)] .

وهذا ما أرجحه لأن الأدواء المتوطنة في القلب عددها العلماء، ومنها الكبر، فهو مرض قلبي يقابله التواضع ، وكلاهما وصف للقلب ، وهذا هو علة التنوين في قوله " قلبٍ متكبرٍ " وإلا فما فائدة ذكر القلب هنا ، وما فائدة ذكر الصدر هناك ؟

نستنتج من خلال ذلك ما يلي :

١-أن المادة قد عرفت بضدها وليس بمرادفها ، فالمادة أصل صحيح يدل على خلاف الصغر ، والكبير ضد الصغير ، والكبر نقيض الصغر .

٢-دلت كلمة الكبر على معان متعددة ، فالكبر: الرفعة والشرف ، والعظمة ، وقيل : إنه ادعاء العظمة .

٣-ورد مشتقات المادة في القرآن " الكبر ـ الاستكبار ـ المتكبر" ، وقد فصل العلماء بينها من خلال السياق ، منها المحمود ومنها المذموم.

٤-جاءت الكلمة مرتبطة بالقلب في آيات ، وبالصدر في غيرها ، وخلت منهما في آيات أخرى، ولأن القلب في الصدر فإن المجاز لعب دورا في ارتباط أحدهما بالآخر والعلاقة بينهما المحلية.

---

(١) ينظر مفاتيح الغيب ٢٧ / ٥١٣.

٥-أن الكبر – وإن كان مرضا من أمراض القلب – إلا أنه يتعلق بالنفس ، والناس تتفاوت نفوسهم في ذلك ، وفي هذا يقول القرآن " لقد استكبروا في أنفسهم " والنفس أمارة بالسوء ولذلك كان الكبر من الانفعالات النفسية التي يشعر صاحبها بأنه أعظم من غيره.

٢٣-**اللهو "لاهية قلوبهم** " :

قال تعالى : " ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث إلا استمعوه وهم يلعبون لاهية قلوبهم وأسروا النجوى الذين ظلموا هل هذا إلا بشر مثلكم أفتأتون السحر وأنتم تبصرون "[١] .

اللهو : ما يشغل الإنسان عما يعنيه ويهمه [٢] ،أو هو ما شغلك من هوى وطرب [٣] " وكل شيء شغلك عن شيء فقد ألهاك "[٤] تقول منه " لهوت بالشيء ألهو لهوا : إذا لعبت به وتلهيت به مثله، وتلاهوا: أي :

---

[١] الأنبياء آية ٢ ،٣.

[٢] المفردات ص ٤٥٩"لهي " .

[٣] المقاييس ٥ / ٢١٣ ، وتهذيب اللغة ٦ / ٤٢٧ ، واللسان " لها " .

[٤] الصحاح ٦ / ٢٤٨٧.

لهى بعضهم ببعض ولهوت عن الشيء ألهو لَهوا: أي : صدفت عنه[١]، واللَّهْوُ واللَّهْوَة المرأة الملهوّ بها " [٢].

لقد ورد في القرآن لفظ اللهو، وهو مصدر لها يلهو لهوا ، كما ورد اسم الفاعل من هذه المادة " لاهية قلوبهم " ، وقد فسرها قوم بالغفلة، فقالوا " غافلة قلوبهم" ، ونسب هذا القول لقتادة[٣]، وقيل : ذهلت وغفلت، وقيل : ساهية معرضة عن ذكر الله متشاغلة عن التأمل والتفهم من قول العرب لهيت عن ذكر الشيء إذا تركته وسهوت عنه [٤].

إن لفظة "لاهية" وردت نعتا للقلب، وإن تقدمت عليها؛ لأن النعت قد ورد متقدما على المنعوت في مثل قوله تعالى: " خاشعة أبصارهم ، " ودانية عليهم ظلالها"، و"لاهية قلوبهم " فإذا تقدم النعت على المنعوت انتصب كما سبق[٥]. يرشح هذا ، ويؤكده قراءة الكسائي "لاهية قلوبهم" برفع لاهية ، ومعناها قلوبهم لاهية" [٦].

يتبين مما سبق أن اللهو هو كل ما يشغل الإنسان عما يعنيه ويهمه، سواء كان باللعب أم الغفلة أو الهوى، أو الطرب أو الإعراض... وكل

---

[١] تهذيب اللغة ٦ / ٤٢٧.

[٢] اللسان " لها ".

[٣] جامع البيان ١٨/ ٤١٠.

[٤] ينظر مفاتيح الغيب ٢٢ / ١٢٠، والجامع لأحكام القرآن ١١ / ٢٦٨ .

[٥] ينظر جامع لأحكام القرآن ١١ / ٢٦٨.

[٦] السابق الجزء والصفحة ذاتها.

تفسير من هذه التفسيرات يناسب حالا من أحوال الناس الذين عناهم الله بالخطاب أو الإخبار "اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون "[١] .

كما يتضح أن العلماء قد اختلفوا في تفسير اللفظة القرآنية من خلال السياق فبعضهم فسرها بالغفلة، وبعضهم فسرها بالسهو، أو التشاغل عن التأمل والتفكر، وكل يحتمله السياق . يضاف لذلك أن اللفظة ـ رغم تقدمها على القلب ـ إلا أن العلماء عدوها نعتا له مثل خاشعة أبصارهم و دانية عليهم ظلالها ، والنعت إذا تقدم انتصب ، وقد أكد هذا الرأي قراءة الكسائي برفع لاهية.

٢٤-النفاق :

قال تعالى: " فأعقبهم نفاقا في قلوبهم إلى يوم يلقونه بما أخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون "[٢] .

تدور مادة " ن ف ق " حول معنيين رئيسيين: أحدهما انقطاع شيء وذهابه، وثانيهما: إخفاء شيء وإغماضه[٣] ، يندرج تحت المعنى الأول نفوق الدابة ، أي موتها ، ونفوق السعر أي : عدم كساده، ويأتي المعنى الثاني النفق: سرب في الأرض له مخلص إلى مكان، والنافقاء: موضع يرققه اليربوع من جحره، فإذا أتى من قبل القاصعاء ضرب النافقاء برأسه فانتفق: أي خرج ، ومنه اشتقاق النفاق ، لأن صاحبه يكتم خلاف ما

---

[١] الأنبياء آية ١ .

[٢] التوبة آية ٧٧.

[٣] المقاييس ٥ / ٤٥٤ " نفق " .

يظهر "[١] ، لقد علل العلماء تسمية المنافق بهذا الاسم ، يقول أبو عبيد : سمي المنافق بذلك للنفق ، وهو السرب في الأرض ، أو تشبيها بالنافقاء الذي يدخل من ناحية ويخرج من الأخرى [٢] ، ويرى الراغب أن النفق : الطريق النافذ والسرب في الأرض النافذ فيه .. ومنه نافقاء اليربوع .. ومنه النفاق ، وهو للدخول في الشرع من باب ، والخروج عنه من باب "[٣] فكأن الأصل في الباب النفق ، وهو السرب في الأرض، ومنه أخذ النافقاء ، والنفاق وغيرها .

والنفاق : الدخول في الإسلام من وجه ، والخروج عنه من آخر، وهو اسم إسلامي لم تعرفه العرب بالمعنى المخصوص به ، وهو الذي يستر كفره ويظهر إيمانه ، وإن كان أصله في اللغة معروفا " [٤] .

يقول صاحب المصباح: " نافق الرجل إذا أظهر الإسلام لأهله وأضمر غير الإسلام وأتاه مع أهله فقد خرج منه بذلك والنفاق محله القلب "[٥] .

ويفهم من كلام العلماء أن النفاق بمعناه الإسلامي قد انتقل من المحسوس إلى المعنوي وهذا يظهر من كلامهم أنه مشتق من النفق بمعنى السرب في الأرض، أو من النافقاء. كما يبدو من كلامهم أن المعنى

---

[١] السابق ٥ / ٤٥٥ " نفق " .

[٢] ينظر اللسان " نفق ".

[٣] المفردات ص ٥٠٤.

[٤] اللسان " نفق " والتاج ٢٦ / ٤٣٠ " نفق "

[٥] المصباح المنير ٦١٨.

مجازي، أشار لذلك الزمخشري في الأساس [١] ، وكذلك الزبيدي في التاج [٢] .

إن كتب التفسير لم تبين معنى النفاق في هذا السياق بل ذكرت السبب الذي أوجب هذا النفاق في حقهم، وهو البخل، فقال الطبري : " ببخلهم بحق الله الذي فرضه عليهم فيما أتاهم من فضله و إخلافهم الوعد الذي وعدوا الله ، ونقضهم عهده في قلوبهم "[٣] . واختلفوا في نوع النفاق ، فقال بعضهم إنه نفاق كفر ، في حين يرى البعض أنه نفاق معصية وقلة استقامة [٤] وخص النفاق بالقلب ، لأنه محله وموطنه ، فهو مرض قلبي له أمارات في سلوك الإنسان منها الخلف في الوعد ، والكذب فى الحديث ، والنقض للوعد ، والغدر في العهد ، وأمارات أخرى نثرها الله عز وجل في القرآن ، جماعها أن صاحبها يظهر غير ما يعتقد، ويظهر غير ما يبطن .

من هنا يمكن أن نقرر ما يلي :

١-أن النفاق له معنيان،الأول:إظهار شيء و إخفاء شيء آخر،والثاني: الدخول في الإسلام من ناحية والخروج من ناحية أخرى، والمعنى الثاني إسلامي.

---

[١] أساس البلاغة ٤٦٨ .

[٢] تاج العروس ٢٦/ ٤٣٠ " نفق " .

[٣] جامع البيان ١٤/ ٣٧٠.

[٤] ينظر المحرر الوجيز ٦٢/٣ .

٢-أن النفاق مشتق من النفق ، وهو السرب في الأرض له منفذان، أو من النافقاء .

٣-أن النفاق محله القلب ، ويتصف به طائفة من المدَّعين للإسلام وضع لهم الإسلام أمارات محددة .

٤-أن النفاق قد اكتسب هذا المعنى عن طريق المجاز ، حيث شبه المنافق باليربوع التي تجعل لها طريقين ، أحدهما الدخول والآخر للخروج .

٢٥-الإنكار :

قال تعالى : " إلهكم إله واحد فالذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة وهم مستكبرون "[١] .

" النون والكاف والراء أصل صحيح يدل على خلاف المعرفة التي يسكن إليها القلب، ونكر الشيء وأنكره : لم يقبله قلبه و لم يعترف به لسانه " [٢] .

" والإنكار ضد العرفان ، يقال: أنكرت كذا ونكرت، وأصله أن يرد على القلب ما لا يتصوره، وذلك ضرب من الجهل" [١]والإنكار– أيضا– الجحود

---

[١] النحل آية ٢٢.

[٢] المقاييس٥ / ٤٧٦.

[٢]، وأنكره واستنكره وتناكره : تجاهله[٣]، والإنكار بالقلب قد يستتبعه إنكار باللسان ، فيقال أنكر بقلبه ولسانه، وقد ينكر اللسان من دون القلب ، فيكون حينئذ كاذبا ، وفي هذا يقول الراغب: " وقد يستعمل ذلك فيما ينكر باللسان ، وسبب الإنكار باللسان الإنكار بالقلب، لكن ربما ينكر اللسان الشيء وصورته في القلب حاصلة، ويكون في ذلك كاذبا " [٤] و بعضهم يرى: أن نكر تكون للإنكار بالقلب ، وأنكر تكون للإنكار بالعين ، واستشهد بقول الأعشي [البسيط]:

وأنكرتني وما كـــان الذي نكرت من الحوادث إلا الشيب والصلعا

لكن كثيرا من العلماء جعلوا نكر وأنكر واستنكر وتناكر بمعنى [٦].

أما اللفظة القرآنية " قلوبهم منكرة " ذكرها علماء التفسير بلفظها دون التعرض لمعناها ، هل هو الجحود ، أو الجهل ، أو غير ذلك ، لكن

---

[١] المفردات ٥٠٧.

[٢] اللسان " نكر " .

[٣] القاموس المحيط ١ / ٤٨٧ .

[٤] المفردات ٥٠٧.

[٥] أساس البلاغة٤٧٢، والبيت في ديوانه صـ ١٠١، شرح وتعليق د. محمد محمد حسين– دار النهضة – بيروت– ١٩٧٤م .

[٦] ينظر القاموس المحيط ١ / ٤٨٧ ، والتاج ٥ / ٢٨٧ " نكر" .

بعضهم قال: " منكرة لهذا الحديث الذي مضى " [١] ويقصد به التوحيد ، أو منكرين لكل كلام يخالف قولهم [٢] .

وقال الزمخشري: " قلوبهم منكرة للوحدانية " [٣] لكن ابن عاشور فسر الإنكار بالجحود فقال: " ومعنى قلوبهم منكرة : جاحدة بما هو واقع، استعمل الإنكار في جحد الأمر الواقع ، لأنه ضد الإقرار ، فحذف متعلق منكرة لدلالة المقام عليه، أي منكرة للوحدانية "[٤].

يفهم مما سبق ما يلي :

١-أن المادة اللغوية في أصلها تدور حول عدم المعرفة ، ويكون الإنكار بالقلب واللسان ، وأضاف بعضهم العين .

٢- دلت لفظة الإنكار على عدة معان، منها الجهل والجحود، وضد العرفان.

٣- أن بعض العلماء فرق بين نكر وأنكر ، فالأولى للإنكار بالقلب، والثانية للإنكار بالعين لكن ورودهما في سياق البيت يؤكد أنهما بمعنى ، وكذلك نص كثير من علماء اللغة على ذلك.

---

[١] جامع البيان ١٧ / ١٨٨.

[٢] مفاتيح الغيب ٢٠/ ١٩٦ ، وإرشاد العقل السليم ٥/ ١٠٦ .

[٣] الكشاف ٢/ ٥٧٦ .

[٤] التحرير والتنوير ١٤/ ١٢٨.

٤-أن كثيرا من علماء التفسير ذكروا المتعلق بالكلمة دون تفسيرها، وكأنها معلومة من خلال سياقها،ولم يذكروا أنها بمعنى الجحود إلا ابن عاشور.

٥- أن الإنكار -في سياق الآية – يدل على جحود بعد علم ، وهي صفة لازمة لغير المؤمنين راسخة في قلوبهم، يؤكد ذلك ختام الآية "وهم مستكبرون" . و هذا أعظم الإنكار وأبشعه ، يدل على ذلك وصف القلوب به .

٢٦-الوسوسة:

قال تعالى : " الذي يوسوس في صدور الناس " [١] .

" الواو والسين كلمة تدل على صوت غير رفيع، يقال لصوت الحلي وسواس، ولهمس الصائد وسواس، وإغواء الشيطان ابن آدم وسواس "[٢] والوسوسة : حديث النفس والصوت الخفي من ريح تهز قصبا ونحوه [٣] ، والوسوسة : الكلام الخفي في اختلاط [٤] ، والوسوسة: ما جاء في التنزيل : وهو ما يلقيه الشيطان في القلب [٥] والوسواس: الشيطان ، وقد وسوس

---

[١] الناس آية ٦.

[٢] المقاييس ٦ / ٧٦ " تكبر " .

[٣] العين ٧ / ٣٣٥ .

[٤] اللسان "وسوس ".

[٥] الجمهرة ٢ / ٣٣٣ .

في صدره، ووسوس إليه[١] ... وكل ما حدثك ووسوس إليك فهو اسم[٢]، وبه فسر قوله تعالى: " من شر الوسواس الخناس"، وقيل أراد ذا الوسواس، وهو الشيطان الذي يوسوس في صدور الناس [٣] .

لقد فسر المفسرون الوسواس الخناس بالشيطان الجاثم على قلب ابن آدم ، ونسب هذا القول لابن عباس [٤] ، وهذا معنى قوله تعالى " الذي يوسوس في صدور الناس " ، يقول قتادة : " من شر الوسواس الخناس " يعني الشيطان ، يوسوس في صدر ابن آدم ويخنس إذا ذكر الله " [٥] .

وتكرار الحروف في الوسوسة يحكي ترددها في قلب الآدمي، حيث تكررت الواو والسين في هذه الكلمة ، وهو تكرار يتناسب مع المعنى المراد؛ لأن الوسوسة تكرر مرة بعد مرة فيوسوس الشيطان مرة، ويخنس مرة ، ثم يتكرر الأمر .

ولما كانت الوسوسة صوتا خفيا، اختاروا للتعبير عن معناها السين المهموسة الرخوة وكرروها ، ولما كانت تحمل صوتا وإن كان خفيا كانت السين أيضا التي تحمل صفة الصفير .

يفهم مما سبق ما يلي :

---

[١] المفردات ٥٣٧.

[٢] العين ٧ / ٣٣٥ ، واللسان " وسوس".

[٣] تاج العروس ١٧ / ١٢ " وسوس ".

[٤] جامع البيان ٢٤ / ٧٠٩.

[٥] السابق الجزء ذاته ، والصفحة ذاتها .

١. أن المادة اللغوية تدور حول الصوت غير الواضح ، ومن مشتقاتها كانت الوسوسة، وهي الكلام الخفي، وصوت الحلي، وحديث النفس...الخ، ومنها الوِسْوَاسُ أيضا.

٢-رغم أن الوسواس هو كل ما حدثك ووسوس إليك ، إلا أنه يطلق في هذا السياق على الشيطان، ويرشح ذلك قوله تعالى " الخناس".

٣-أن ارتباط الوسوسة بالصدر في هذة الآية تبين أنه محل لها ، وأن المراد هو القلب ، ولذلك فسروا الوسواس الخناس بالشيطان الجاثم على قلب ابن آدم ، وفي هذا إطلاق للكل على الجزء .

تعقــيب :

بلغت مفردات هذا الحقل ستا وعشرين مفردة ، بعضها جاء وصفا للقلب ، وبعضها جاء للصدر، ولإيماننا بأن الصدر محل القلب فقد تعاملنا معها على أساس أنها أمراض للقلب، وعلى ذلك سار العلماء الذين تناولوا أمراض القلب، كالغزالي في الإحياء، وابن القيم في الداء والدواء، وأمراض القلوب وعلماء التصوف وغيرهم.

اتضح من خلال التحليل أن هناك مجموعة من الألفاظ بينها تقارب في المعنى، يمكن إدراجها في حقل دلالي صغير، وذلك كالألفاظ الدالة على الضيق، مثل الضيق والحصر والحسرة والحرج، وبينها فروق في المعنى ، وكذلك الغيظ والغل والغمرة والقسوة .. إلخ.

يلعب المجاز دورا هائلا في اكتساب مجموعة كبيرة من الألفاظ لمعانيها ، وقد وضح ذلك جليا ، في مثل الحرج والنفاق والقسوة وتقطع القلوب والغلظة وعدم الطهارة في القلب والإشراب والشتات .

أن بعض هذه الصفات تأتي وصفا للقلب كما تأتي وصفا لعضو آخر وهو العين كما في قوله تعالى: "ما زاغ البصر وما طغى" وقوله سبحانه: "في قلوبهم زيغ " وكلاهما الميل والتحول ، وكذلك صفة العمى في قوله تعالى: "فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور " ... وهكذا .

فسر كثير من مفردات هذا الحقل بمعان متعددة ، قد يحتمل السياق بعضها ولا يحتمل البعض الآخر، وقد يحتملها كلها، ودلالة اللفظ على معان متعددة تعد من قبيل المشترك اللفظي.

كثير من المواد التي تندرج تحتها هذه الألفاظ لم تفسر في اللغة إلا بالضد ، فالضيق خلاف السعة ، والكبر ضد الصغر ، أو نقيضه ، وكذلك الطهارة ضد النجاسة ، أو نقيض الحيض ، والغلظ ضد الرقة .

فسر كثير من علماء التفسير الألفاظ داخل سياقاتها المتعددة ، وبعضهم لجأ إلى المأثور كالطبري، وبعضهم أدرك دور المجاز في الدلالة كابن عاشور من المفسرين ، ومن اللغويين الزمخشري في الأساس، والزبيدي فى التاج .

اعتمد بعض العلماء على شرح الآية دون التعرض لمعنى هذه الألفاظ لا داخل السياق ولا خارجه، وذلك في ألفاظ قليلة مثل قوله تعالى " فأعقبهم نفاقا في قلوبهم " ربما لاعتماده على تفسيره في موضع آخر ، أو لظنهم أنه أمر معروف لا يحتاج إلى مزيد بيان .

إن بعض هذه الصفات كانت ترد في سياقات متعددة بصيغ مختلفة، كل صيغة تختلف عن مثيلاتها في جزء من الدلالة، على اعتبار أن كل

صيغة لها دلالتها ، وإن ارتبطت هذه الصيغ برباط واحد وهو الدلالة العامة للمادة ، من ذلك مثلا " ضَيْق– ضِيق" "يضيق" "ضاقت"، ومنه أيضا "كِبر" "متكبر" " كَبر" .

نلاحظ من خلال ما سبق بعض العلاقات التي تربط بين مفردات هذا الحقل كالعموم والخصوص مثلا في مثل الحرج والضيق؛ فالحرج الضيق الذي لا منفذ فيه، أو هو أشد الضيق، والعداوة أخص من البغضاء؛ لأن كل عدو مبغض وليس العكس، والإباء هو شدة الامتناع، والامتناع أعم منه.

كما نرى نوعا من التطابق بين الغلظ والقسوة، فقسوة القلب غلظه وشدته، وغلظ القلب قسوته وصلابته، وعلاقة الاشتراك في مثل تفسير الاشمئزاز بالغم والغيظ، والحمية بالأنفة والغيظ، والحسرة بالغم والغيظ ... وهكذا.

الحقل الثاني: الإغلاق

آثرنا أن يكون هذا الحقل تحت عنوان "الإغلاق" ليشمل عشرة ألفاظ تندرج تحته رغم أنها تدخل تحت الحقل العام "أمراض القلوب" إلا أن هذا الحقل بمفرداته العشرة تقترب معانيها من الإغلاق ، ولهذا خصصناها بحقل منفرد .

وفي السطور القادمة سأعرض لمعنى الإغلاق ، ثم أثني بعرض ألفاظ الحقل مرتبة ترتيبا هجائيا، ثم أثلث بتحليلها تحليلاً دلاليا مبرزًا أهم المعاني التي يحتملها كل لفظ من هذه الألفاظ مع إبراز المعنى السياقي لكل منها من خلال معاجم اللغة، وكتب التفسير إن شاء الله.

أولاً : الإغلاق : مفهومه :

" الغين واللام والقاف أصل واحد صحيح يدل على نشوب شيء في شيء ، من ذلك الغَلَق يقال منه: أغلقت الباب فهو مُغْلَقٌ [١]" أي: أوثقته بالغَلَق ، وغَلَّقَته . بالتشديد . مبالغة وتكثير [٢]، "وغُلِق الباب وانْغلق واستغلق: إذا عَسُرَ فتحه [٣] " واحتدّ فلان فَغَلَق في حِدَّته: أَي نَشِبَ، وغَلِقَ الرَّهن في يَد المُرْتِهِن : إذا لم يُفَكّ [٤] .

---

[١] المقاييس ٣٩٠/٤ "غلق" .

[٢] المصباح المنير ٤٥١ "غلق" .

[٣] اللسان "غلق" .

[٤] التهذيب ، المستدرك على الأجزاء السابع والثامن والتاسع ١٣٩ "غلق".

" **والغَلَق : ضيق الصدر ، وقلة الصبر ، ورجل غَلِقٌ : سيء الخُلُق، وأغْلَقَ عليه الأمر : لم ينفسح** [١] ".

وفي الحديث : (لا طلاق في إغلاق) الإغلاق: الإكراه ، لأن المُغلق مُكْرَهٌ عليه في أمره ومُضَيَّق عليه في تصرفه ، كأنه يُغْلَق عليه الباب ، ويُحْبس ويُضَيَّق عليه حتى يُطَلَقَّ [٢]، "**واستغلق على الرجل كلامه: إذا أُرْتِجَ عليه فلم يتكلم** [٣] " .

ومن هنا يفهم أن الغَلَقْ فُسِّر حسب السياق الذي يأتي فيه ، فهو استيثاق : إذا كان غَلْقًا للباب ، وهو نشوب ، إذا كان في الحدّة ، وهو عدم انفكاك : إذا كان في الطلاق وكله من غَلْق الباب بمعنى إحكامه واستيثاقه ، وتأتي باقي المعاني على سبيل المجاز [٤] **، وإغلاق الصدر : انسداده وعدم إفساحه لتلقي إشراقات الإيمان ، فلا يرد إليه خير ، ولا يخرج منه شر، فالإغلاق ضد الفتح ، وقلب مغلق : موثق غير مفتوح ، عبر عنه القرآن بألفاظ عديدة ، منها الإقفال والختم والطبع والران والشد على القلوب ... إلخ .**

وهذه الألفاظ رغم استقلال كل منها بمعنى إلا أنها تتقارب فيما بينها لتحمل جميعا معنى عاما هو الإغلاق، وهو عنوان الحقل الذي تنضوي تحته هذه الألفاظ .

---

[١] السابق ١٤٢، ١٤٣ "غلق" .

[٢] اللسان "غلق" .

[٣] التهذيب ، المستدرك على الأجزاء السابع والثامن والتاسع ١٣٩ .

[٤] ينظر أساس البلاغة ٣٢٧ "غلق" .

ثانيًا : ألفاظ الحقل : بلغت مفردات هذا الحقل تسعة ألفاظ بينها وشيجة قربي من ناحية المعنى وهذه الألفاظ هي :

١- الختم .

٢- الران .

٣- الشد على القلوب .

٤- الصرف .

٥- الطبع .

٦- العمى .

٧- الغلف .

٨- الإقفال .

٩-الكِنُّ .

ثالثًا : التحليل :

١- الختم :

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱلرَّحِيمِ صدقالله العظيم بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴾ ﴿ ﴾[1]

[1] البقرة: ٧.

وقال سبحانه : ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ صدق الله العظيم بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ صَدَقَ ٱللَّهُ ٱلۡعَظِيمِ أَعُوذُ بِٱللَّهِ ﴾[١].

وقال أيضًا : ﴿ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ قال تعالى : ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ صدق الله العظيم بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴾ ﴾[٢].

و قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾﴿ ﴾ ﴾[٣]

" الخاء والتاء والميم أصل واحد ، وهو بلوغ آخر الشيء، ومنه ختم العمل ، وختم القارئ السورة " . فأما الختم ، وهو الطبع على الشيء فذلك من الباب أيضا؛ لأن الطبع على الشيء لا يكون إلا بعد بلوغ آخره في الأحراز، والخاتم مشتق منه؛ لأنه به يختم [٤] .

---

[١] الأنعام: ٤٦.

[٢] الجاثية: ٢٣.

[٣] الشورى : ٢٤.

[٤] المقاييس ٢/٢٤٥ "ختم" ، وانظر الجمهرة ١/٣٨٩ "ختم" ، والفروق اللغوية ص٧٢.

وجعله الزجاج بمعنى الطبع ، وهو التغطية على الشيء والاستيثاق من ألا يدخله شيء ، كما قال عز وجل ﴿الْأَنْفَالِ الثَّوْبَةَ يُونُسَ هُودٍ﴾[١]، وقال جل ذكره: ﴿مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾[٢] ، معناه : غلق على قلوبهم .. وكذلك ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾[٣]، ونقل الأزهري عن ثعلب أن الختم المنع ، والختم – أيضًا – حفظ ما في الكتاب بتعليم الطينة[٤] ، " وقيل : الختم : إخفاء خبر الشيء بجمع أطرافه عليه على وجه يحفظ به[٥]"، وسوى بين الختم والطبع طائفة من العلماء، منهم الخليل، والزجاج ، والأزهري ، والزمخشري ، وابن منظور، وغيرهم [٦].

لكن بعض العلماء يرى بينهما فرقا ، فالختم ينبئ عن إتمام الشيء وقطع فعله وعمله ، تقول : ختمت القرآن : أي : أتممت حفظه .. وقطعت قراءته ، أما الطبع فهو أثر يثبت في المطبوع ويلزمه ، فهو يفيد من معنى الثبات واللزوم ما لا يفيده الختم، ولذلك قيل: طبع الدرهم طبعا ، وهو الأثر

---

[١] محمد : ٢٤.

[٢] المطففين : ١٤

[٣] النساء : ١٥٥ ، ومعاني القرآن ٤٦/١ ، وتهذيب اللغة ٣١٤/٧ "ختم" ، واللسان "ختم" ، وتاج العروس ٤١/٣٢ "ختم".

[٤] تهذيب اللغة ٣١٤/٧ "ختم".

[٥] تاج العروس ٤١/٣٢ .

[٦] ينظر العين٢٤١/٤، ومعاني القرآن وإعرابه ٤٦/١، وتهذيب اللغة٣١٤/٧، وأساس البلاغة ١٠٣ ، واللسان "ختم" .

الذي يؤثره فيه فلا يزول عنه [١] ، ومثل هذا ألمح به ابن القيم ، حيث قال: الختم والطبع يشتركان في التغطية على الشيء، والاستيثاق منه ويفترقان في معنى آخر، وهو أن الطبع ختم يصير سجية وطبيعة، فهو تأثير لازم لا يفارق [٢] ، ويرى الراغب أن الطبع أعم من الختم وأخص من النقش[٣].

"ومعنى الختم على القلب ألا يفهم شيئًا، ولا يخرج منه شيء، كأنه طبع"، وقوله سبحانه " ختم الله على قلوبهم" عند الأزهري بمعنى طبع الله على قلوبهم"[٤].

لقد فسر كثير من المفسرين الختم في الآيات بالطبع، فيقول الطبري: "والختم الذي ذكره الله تعالى في قوله تعالى : "ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم" نظير الطبع "[٥] ، وبمثل ذلك قال ابن عطية وابن كثير فيما نقله عن مجاهد[٦] ، والسدي، وجعل الزمخشري والرازي والبيضاوي الختم والكتم

---

[١] الفروق اللغوية ٧٢ .

[٢] الضوء المنير ١٨٨/٤، وهو تفسير لابن القيم جمعه من كتبه/ علي الحمد الصالحي مؤسسة النور بالاشتراك مع مكتبة السلام "بدون" ، والتفسير القيم لابن القيم جمعه محمد أويس الندوي مكتبة الصفا ، طبعة أولى ١٤٢٩هـ ـ ٢٠٠٨م .

[٣] المفردات من ٣٠٤ .

[٤] تهذيب اللغة ٧/ ٣١٣.

[٥] جامع البيان ١/ ٢٥٨ وما بعدها .

[٦] ينظر المحرر الوجيز ١/ ٨٨ ، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ، دار إحياء الكتب العربية عيس البابي الحلبي بدون ١/ ٤٥ .

بمعنى ، وعللوا لذلك بقولهم: "لأن في الاستيثاق من الشيء يضرب الخاتم عليه كتما له وتغطية لئلا يتوصل إليه أحد يطلع عليه[١]".

ويرى ابن عاشور أن الختم حقيقته السَّدُّ على الإناء والغلق على الكتاب بطين ونحوه مع وضع علامة مرسومة في خاتم ليمنع ذلك من فتح المختوم، فإذا فتح علم صاحبه أنه فتح لفساد يظهر في أثر النقش[٢]".

إن دلالة الختم على القلب دلالة مجازية أشار إليها كثير من العلماء، منهم الزمخشري في أساس البلاغة، وأبو حيان في البحر، وابن عاشور في التحرير والتنوير، لكنهم اختلفوا في نوع هذا المجاز ، هل هو استعارة أو مجاز مرسل ؛ أو كناية ، والمقام يحتمل كلاً منها على سبيل التأويل [٣] .

أما قوله تعالى: "فإن يشأ الله يختم على قلبك" فقد قيل: يربط على قلبك بالصبر على أذاهم ، وقيل يُنْسيك ما آتاك [٤]. يقول أحدهم: " وإن ما اخترع لهم في قلوبهم من الكفر والضلال والإعراض عن الإيمان سماه ختمًا ، وهذا عن طريق المجاز، وقال آخرون: " الختم هنا أسند إلى الله تعالى لما كفر الكافرون به وأعرضوا عن عبادته وتوحيده، كما يقال: أهلك

---

[١] ينظر الكشاف ٤٩/١ ، ومفاتيح الغيب ٢/ ٢٩١ ، وأنوار التنزيل ٤٢/١.

[٢] التحرير والتنوير ١/ ٢٥٤.

[٣] ينظر أساس البلاغة ص ١٠٣، والبحر المحيط ١/ ٧٦، والتحرير والتنوير ١/ ٢٥٤.

[٤] تهذيب اللغة ٧ / ٣١٤ ، واللسان " ختم " .

المال فلانًا، وإنما أهلكه سوء تصرفه [١] " ، وهذا أيضًا على سبيل المجاز .

لقد علل بعض العلماء لهذا الختم ، فيقول الطبري : " إن الذنوب إذا تتابعت على القلوب أغلقتها وإذا أغلقتها أتاها حينئذ الختم والطبع من قبل الله عز وجل، فلا يكون للإيمان إليها مسلك ولا للكفر منها مخلص[٢]".

من هنا يتضح ما يلي :

اختلفت كلمة العلماء في معنى الختم ، هل هو بلوغ نهاية الشيء ، أو هو التغطية على الشيء والاستيثاق من ألا يدخله شيء ، أو أنه المنع، أو إخفاء خبر الشيء بجمع أطرافه عليه على وجه يحتفظ به، أو أن معناه الطبع ، أو أنه بمعنى الكتم ، أو بمعنى السَد .

أن الختم والطبع يتفقان في شيء ويفترقان في شيء كما رآه الراغب ، وأبو هلال العسكري وغيرهما ، كما أن الختم وإن فسر بالكتم عند البعض إلا أن بينهما بعض الفروق .

يلعب المجاز دورا كبيرا في تحديد دلالة هذا اللفظ، وقد اختلف العلماء في تحديد نوع المجاز هل هو الاستعارة أو المجاز ، أو الكناية؟

٢- الران :

قال تعالى : " كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون " [٣] .

---

[١] المحرر الوجيز ١ / ٨٨ . ومعنى اخترع لهم خلق لهم.

[٢] جامع البيان ١ / ٢٥٨ وما بعدها .

[٣] المطففين آية ١٤.

الراء والياء والنون أصل يدل على غطاء وستر ، فالرَّين : الغطاء على الشيء، وقدر رِين عليه كأنه غُشِيَ عليه... ورانت الخمر على قلبه: غلبَت"[١]، والرَّين : الصَّدَأ الذي يعلو السيف والمِرْآة، وران الذنب على قلبه يرين رَينًا وريونًا : غلب عليه وغطاه [٢] " والرَّين عند الراغب صدأ يعلو الشيء الجليل ، قال " بل ران على قلوبهم " أي صار ذلك كصدأ على جلاء قلوبهم فعمى عليهم معرفة الخير من الشر [٣] "، "والرَّين: الطبع والدنس .. وكل ما غَلبَكَ رانك [٤] " .

لقد فسر الران في الآية بالغلبة والطبع والختم[٥] ، وهو تفسير بالمقارب في المعنى، لكن من شدة تقاربها فسرت ببعضها، وفسره الحسن بتوالي الذنوب على القلب حتى يعمى [٦] ، وقال غيره : " لما كثرت ذنوبهم ومعاصيهم أحاطت بقلوبهم وأصل هذا أن القلب يصدأ من المعصية، فإذا زادت غلب عليه الصدأ حتى يصير رانًا ، ثم يغلب حتى يصير طبعًا وفعلا ، وختمًا ، فيصير القلب في غشاوة وغلاف فإذا حصل ذلك بعد الهدى

---

[١] المقاييس ٢ / ٤٧٠.

[٢] اللسان " رين " .

[٣] المفردات ٢١٤ .

[٤] القاموس المحيط ٤ / ٢٣٠ " رين " ، وانظر اللسان " رين " .

[٥] اللسان " رين " .

[٦] التفسير القيم ص ٤١١ ، وانظر اللسان " رين " .

والبصيرة انتكس ، فصار أعلاه أسفله فحينئذ يتولاه عدوه ويسوقه حيث أراد ، والمعافى من عفاه الله[١]".

ويفهم من الكلام الذي أورده ابن القيم أن الذنب وراء الذنب سبب الرين ، وأن الرين يسبق القفل والختم والطبع والغلق ، وأن الصفات الأخيرة أشد منه ، وجعله الزمخشري بمعنى التغطية على القلب، فقال: " أعوذ بالله من الرَّين والران، وهو ما غطى على القلب ورَكِبه من القسوة للذنب بعد الذنب[٢] ، ويرى أبو معاذ النحوي : أن الرَّين أن يسود القلب من الذنوب.

والطبع : أن يطبع القلب ؛ وهو أشد من الرين ، والإقفال أشد من الطبع ؛ وهو أن يقفل القلب[٣] " وعلى هذا الرأي فإن الرين اسوداد القلب من الذنوب، ويرى الفراء أن الرين هو إحاطة الذنوب والمعاصي بالقلب [٤]؛ [٤]؛ في حين يرى ابن القيم " أن الرين والران من أغلظ الحجب على القلب القلب وأكثفها[٥]".

وفي الحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم " أن العبد إذا أخطأ خطيئة نكت في قلبه نكتة سوداء فإذا هو نزع واستغفر وتاب صقل

---

[١] التفسير القيم ص ٤١١ .

[٢] أساس البلاغة ١٨٧ " ريب " .

[٣] التفسير القيم ص ٤١١ .

[٤] اللسان " رين " .

[٥] التفسير القيم ص ٤١٢.

قلبه ، وإن زاد زيد فيها حتى تعلو قلبه، وهو الران الذي ذكر الله ﴿ كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون﴾ [١]".

يفهم مما سبق ما يلي :

١- أن لفظة الران لم ترد في القرآن إلا مرة واحدة في هذا السياق الذي يتحدث عن الكفار وسماهم فجارا معرضين مكذبين.

٢- أن الران على القلب يأتي بسبب الذنوب المتتالية على القلب والتي يصر عليها صاحبها ولا يحدث لها توبة ؛ وقد خصها الزمخشري بالكبائر .

٣ – نص بعض العلماء على أن الطبع والقفل والختم أشد من الران؛ وأَن بينها فرقا في المعنى؛ وإن فسر الواحد منها بصاحبه فعلى سبيل التقريب فقط.

٤ – اختلف العلماء في تحديد معنى الكلمة، هل هو الطبع والختم كما فسرها بعضهم ، أو اسوداد القلب كما فسرها البعض الآخر ، أو إحاطة الذنوب والمعاصي بالقلب ، كما رآها فريق ثالث ؛ أو الصدأ الذي يعلو القلب نتيجة الذنب ، أو العمى الناتج عن توالي الذنوب؛ أو ما غطى على القلب وركبه من القسوة للذنب بعد الذنب ؛ وكلها معان يترتب بعضها على بعض، فتفسير الكلمة بالطبع أو الختم تفسير بالمقارب، أما اسوداد القلب فهو ناتج عن تغطية الذنوب على القلب في غياب التوبة ووجود الإصرار،

---

[١] السابق الصفحة ذاتها.

وإحاطة الذنوب والمعاصي بالقلب كناية عن كثرتها،وكذلك تغطيتها على القلب،أما العمى فهو تشبيه للقلب بالعين، فأعمى العين يضل الطريق، وأعمى القلب يضل الهداية والتوفيق، والصدأ أيضا ليس على حقيقته، ولكنه تشبيه للقلب بالآنية التي تصدأ بسبب الإهمال والترك، فكذلك القلوب تصدأ بسبب الذنوب والمعاصي، وهو تشبيه معنوي بمحسوس .

وهكذا ترى أن بعض هذه المعاني على الحقيقة،وبعضها على المجاز، وكلها يوصل بعضها إلى بعض من حيث المضمون،والسياق حاكم على ذلك كله.

٣ – الشد على القلوب :

قال تعالى : " ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم [١]".

الشد : العقد القوي، يقال: شددت الشيء: قويت عقده ، ومنه قوله تعالى: "وشددنا أسرهم[٢]" .

والشدة : الصلابة ، وهي نقيض اللين ، تقول منه شده يشُده ويشِده شدا ، قواه وأحكمه، وكل شيء شددته فقد أحكمته [٣] وأوثقته ، وجاء في الحديث : " لا تَبِيعوا الحَب حتى يشتد، واشتداده : قوته وصلابته ، وشد

---

[١] يونس آية ٨٨ .

[٢] المفردات ص ٢٥٩.

[٣] ينظر التهذيب ١١، ٢٦٥ ، ٢٦٦ ، واللسان "شدد".

الله ملكه وشدده : قواه، ومنه قوله تعالى: "وشددنا ملكه [١]" أي : قويناه، ومنه رجل شديد، وشديد القوى ، وقوم شداد وأشداء. [٢]"

ومعنى الشد على القلوب الاستيثاق منها حتى لا يدخلها الإيمان [٣]، وقال الشوكاني: الاشتداد على القلوب جعلها قاسية لاتقبل الحق ولا تنشرح للإيمان[٤]، وفي اللسان " طبع على قلوبهم [٥]" وفسرها الفراء بالختم ، فقال :" قوله " واشدد على قلوبهم " يقول : واختم عليها [٦].

وجمع ابن عطية في المعنى بين الطبع والختم فقال: "اشدد على قلوبهم " اطبع واختم عليها بالكفر، ونسب ذلك لمجاهد والضحاك [٧].

كما جمع بعضهم بين القسوة والطبع ، فقال : "واشدد على قلوبهم" أي اجعلها قاسية واطبع عليها حتى لا تنشرح للإيمان [٨].

وتستعمل الشدة في المجاعة ، وفي صعوبة الزمن ، وفي مكاره الدهر ، وفي شظف العيش ، والبخل الشديد [٩].

---

[١] سورة ص آية ٢٠.

[٢] ينظر أساس البلاغة ٢٣١ "شدد"، واللسان "شدد" .

[٣] الكشاف ٢ / ٣٧٨ ، ومفاتيح الغيب ١٧/ ٢٩٤.

[٤] فتح التقدير ٢/ ٦٠٣ بتصرف يسير .

[٥] اللسان "شدد " .

[٦] معاني القرآن ١ / ٤٧٧.

[٧] المحرر الوجيز ١٣٩/٣ .

[٨] إرشاد العقل السليم ١٧٢/٤ ، والجامع لأحكام القرآن ٣٧٤/٨ .

[٩] ينظر اللسان " شدد ".

ولذلك يقول الراغب : " والشدة تستعمل في العقد وفي البدن وفي قوى النفس، وفي العذاب، قالوا:"وكانوا أشد منهم قوة [١]– علمه شديد

القوى[٢]– غلاظ شداد[٣]– بأسهم بينهم شديد[٤]– في العذاب الشديد [٥].

[٥].

يتضح مما سبق ما يلي :

١ – أن المادة في أصل دلالتها توحي بالعقد القوي والإحكام ، ومنه: شد الشيء أوثقه ، وشددت الشيء : قويت العقد .

٢ – أن الشدة تدل على معان متعددة ، منها الصلابة ، والقوة ، والمجاعة ، والصعوبة وغيرها ، لكنها معان مع القليل من الفكر والروية تعود إلى المعنى العام للمادة .

٣ – اختلف العلماء في تفسير كلمة "اشدد" داخل سياقها ، حيث فسرها بعضهم "بالطبع" وبعضهم "بالختم" وبعضهم بالاستيثاق من القلوب، وبعضهم بالقسوة ، وبعضهم جمع بين الطبع والختم ،وبعضهم بين القسوة

---

[١] فاطر آية ٤٤.

[٢] النجم آية ٥.

[٣] التحريم آية ٦.

[٤] الحشر آية ١٤ .

[٥] التوبة آية ١٢٧ .

والطبع، وهذه معان متقاربة، وتفسير الشد على القلوب بها فيه شيء من التجوز تعتاده اللغة، ويتعارف عليه علماؤها في تفسير الألفاظ بالمقارب .

٤ – الصرف :

قال تعالى : " وإذا ما أنزلت سورة نظر بعضهم إلى بعض هل يراكم من أحد ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم بأنهم قوم لايفقهون [١]".

أصل الصرف: رد الشيء من حالة إلى حالة أو إبداله بغيره [٢]، وقيل رد الشيء عن وجهه [٣]، ويقال منه: صرفت القوم صرفا وانصرفوا ، وذلك إذا رجعوا وتحولوا من موضع إلى موضع آخر[٤] ، ومنه تصريف الكلام وتصريف الأمور ، وتصريف الرياح ، وهو تحويلها من جهه إلى جهة ، وصرف الحديث : تزيينه والزيادة فيه [٥] .

وصرف القلوب، قيل: إضلالها، وقيل: الطبع عليها بكفرهم، وقيل: بصرف قلوبهم عما في قلوب أهل الإيمان من الانشراح ، وقيل : صرف قلوبهم بما أورثهم من الغم والكيد ، وقيل : صرفهم عن الألطاف التي يختص بها من آمن واهتدى ، وقيل : صرفهم عن كل رشد وخير وهدى[٦] وهدى[٦] وبين ابن القيم أن الجزاء من جنس العمل؛ لأنهم لما انصرفوا بإرادتهم صرف سبحانه وتعالى قلوبهم مجازاة لهم على ذلك، ويقول:"فانصرفت قلوبهم بما فيها من الجهل والظلم عن القرآن، فجازاهم

---

[١] المفردات ٢٨٣ .

[٢] اللسان " صرف ".

[٣] انظر المقاييس ٣ / ٣٤٢.

[٤] ينظر اللسان " صرف " .

[٥] الكشاف ٢ / ٣٤٤.

[٦] مفاتيح الغيب ١٦/ ١٧٦، والبحر المحيط ٥/ ٥٣١ ، واللسان " صرف".

عن ذلك صرفا آخر غير الصرف الأول، كما جازاهم على زيغ قلوبهم عن الهدى إزاغة غير الزيغ الأول.. وهكذا إذا أعرض العبد عن ربه سبحانه جازاه بأن يعرض عنه ، فلا يمكنه من الإقبال عليه [١]" .

فاللفظة – كما ترى – تتنازعها عدة معان من خلال السياق، منها الإضلال ، ومنها الطبع، ومنها تحول القلوب من الانشراح إلى ضده بسبب إعراضهم وانصرافهم عن الحق، ومنها ردهم عن كل رشد وخير وهدى، أو عن الألطاف التي يختص بها من آمن واهتدى ، وهكذا مجازاة لهم عن انصرافهم عن الإيمان وحبهم لذلك ، أو إغلاق بابه دونهم بسبب إعراضهم ، وهي معان ترجع إلى الرد والتحول من حالة إلى حالة ، أو من جهة إلى جهة .

كما ترى أن دلالة اللفظ قد تحولت من المحسوس إلى المعقول ، فصرف القلب دلالته معنوية اكتسبت من صرف الريح وغيرها من الدلالات الحسية .

كما ترى أن الصرف بما يوجبه من غلق أبواب الخير أمام صاحبه فسره بعضهم بالطبع، وهو شبيه به .

٥ – الطبع

قال تعالى:" وقولهم قلوبنا غلف بل طبع الله عليها بكفرهم فلا يؤمنون إلا قليلا [٢]" وقال تعالى:" تلك القرى نقص عليك من أنبائها ولقد جاءتهم

---

[١] التفسير القيم ص ٢٥٦.

[٢] النساء آية ١٥٥.

رسلهم بالبينات فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا من قبل كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين"الأعراف /١٠١، وقال سبحانه: "إنما السبيل على الذين يستأذنونك وهم أغنياء رضوا بأن يكونوا مع الخوالف وطبع الله على قلوبهم فهم لا يعلمون[١] "وقال تعالى: "ثم بعثنا من بعده رسلا إلى قومهم فجاؤوهم بالبينات فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا به من قبل كذلك نطبع على قلوب المعتدين[٢] " .

وقال تعالى " أولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم وأولئك هم الغافلون [٣] " ، وقال أيضا " كذلك يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون [٤]" وقال سبحانه : "كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار[٥]" ، وقال أيضا : " أولئك الذين طبع الله على قلوبهم واتبعوا أهواءهم [٦]" ، وقال عز وجل : "ذلك بأنهم آمنوا ثم كفروا فطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون [٧]".

في الآيات السابقة ورد الطبع على صيغ ثلاث «صيغة الماضي "طبع"» وقد جاءت مبنية للمعلوم في سياقات عديدة ، ومبنية للمجهول في

---

[١] التوبة آية ٩٣ ، وفيها أيضا «وطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون » ٨٧.

[٢] يونس آية ٧٤.

[٣] النحل ١٠٨.

[٤] الروم آية ٥٩ .

[٥] غافر آية ٣٥ .

[٦] القتال آية ١٦.

[٧] المنافقون آية ٣ .

بعض السياقات ، ثم جاءت بصيغة المضارع المسند إلى ضمير المفرد الغائب "يطبع" ،كما وردت بصيغة المضارع المسند إلى ضمير جماعة المتكلمين "نطبع" ، وكل واحدة منها في سياق مستقل عن صاحبتها.

والمتأمل للسياقات التي وردت فيها الآيات يرى أنها متنوعة شملت الحديث عن المنافقين والكفار وأهل الكتاب، كما يرى أن الطبع قد جاء وصفا للقلب والسمع والبصر، كما ورد الختم قبل ذلك وصفا للقلب والسمع، كما ترى أيضا أن هذه القلوب المطبوع عليها وصف أصحابها بأنهم غافلون، لا يعلمون، معتدون، لا يفقهون، متكبرون، متبعون أهواءهم، كافرون، وكل منها جاء في سياق مستقل عن الآخر.

أما من ناحية أصل الدلالة فإن «الطاء والباء والعين أصل صحيح ، وهو مثل على نهاية ينتهي إليها الشيء حتى يختم عندها ، يقال: طبعت على الشيء طابعا .. ومن ذلك طبع الله على قلب الكافر ، كأنه ختم عليه حتى لا يصل إليه هدى ولا نور ، فلا يوفّق لخير [(١)]» وجعله الراغب تصور الشيء بصورة ما ، كطبع السِّكَّة، وطبع الدراهم ، وهو أعم من الختم ، وأخص من النقش[(٢)]».

وفسره كثير من اللغويين بالختم، كما فسروا الختم به [(٣)] ، وجعلهما أبو إسحاق الزجاج بمعنى واحد، فقال: « ختم في اللغة وطبع معنى واحد،

---

(١) المقاييس ٤٣٨/٢ وما بعدها.

(٢) المفردات ص ٣٠٤.

(٣) ينظر العين ٢٢/٢ وما بعدها ، وتهذيب اللغة ١٨٦/٢ ، والنهاية فى غريب الحديث والأثر ١٠٣/٣ واللسان "طبع".

وهو التغطية على الشيء والاستيثاق من ألا يدخله شيء [١] » وبالتغطية فسرها أبو عبيدة، فقال:"وطبع على قلوبهم أي غطاها"[٢]، وجعله ابن دريد من قولهم:" طبع الرجل على الشيء طبعا ، إذا جبل عليه ، والطبيعة الخليقة التي جبل عليها"[٣] أما الرازى فقد سوّى بين الطبع والختم والرين والكنان والغشاوة والصدأ والمنع [٤]. في حين يرى مجاهد أن هناك فرقا بين الألفاظ المتقاربة ، فالران أيسر من الطبع والطبع أيسر من الإقفال، والإقفال أشد من ذلك كله [٥].

ويفرق أبو هلال بين الختم والطبع فيقول: " إن الطبع أثر يثبت في المطبوع ويلزمه ، فهو يفيد من معنى الثبات واللزوم ما لا يفيده الختم[٦]" ، ويؤكد ذلك ابن القيم أيضا فيقول :" إنهما يشتركان في التغطية، ويفترقان في معنى آخر ، وهو أن الطبع ختم يصير سجية وطبيعة، فهو تأثير لازم لا يفارق[٧]" .

---

(١) معاني القرآن وإعرابه١/٤٦، والتهذيب٢/١٨٦، واللسان"طبع"، وتاج العروس٢١/٤٣٨ "طبع".

(٢) الجمهرة١/ ٣٥٧ "طبع" .

(٣) المصدر السابق والصفحه ذاتها ، وتاج العروس ٢١ / ٤٣٧.

(٤) مفاتيح الغيب١٤/ ٣٢٢.

(٥) تفسير القرآن العظيم ١/ ٤٥ .

(٦) الفروق اللغوية ص ٧٣.

(٧) التفسير القيم ص ١١١.

والكلام الذي أشار إليه مجاهد وأبو هلال وابن القيم بأن هناك فرقا بين مفردات هذا الحقل ، كالران والختم والطبع والقفل وغيرها من المفردات ، يؤكد عليه الدرس اللغوي الحديث ، حيث أشار كثير من علمائه إلى أنه لا يوجد لفظان داخل حقل واحد بمعنى واحد، وهكذا فإن ما يعنيه بعضهم من أن هذه الألفاظ بمعنى واحد ، فهو يقصد المعنى العام وليس المعنى الخاص بكل منها .

إن دلالة الطبع على القلب دلالة مجازية أشار إليها كثير من العلماء، منهم الزمخشري والزبيدي وغيرهما، حيث يقول الزمخشري: ومن المجاز طبع الله على قلب الكافر [١]"، ويقول الزبيدي:" ومن المجاز، طبع عليه– كمنع – طبعا: ختم، يقال: طبع الله على قلب الكافر : أي ختم ، فلا يعي ولا يوفق لخير[٢]".

يتضح من خلال ذلك مايلي :

١ – أن المادة تدور حول معنى التغطية والاستيثاق من الشيء ، كما رآه بعضهم ، حين قال :" وأصل الطبع: التغطية على الشيء ، أو هو إشارة إلى الأثر الناتج عن الختم على الشيء أو هو العلامة أو السمة التي يوسم بها الشيء وتصير لازمة له .

---

[١] الأساس (طبع).

[٢] تاج العروس ٢١ / ٤٣٨ "طبع".

٢ – أن العلماء فسروا الطبع بمعان عدة، منها الختم، والتغطية ، والسمة التي يسم الله بها قلوب الكفار – كما أشار الجبائي [١]، وغيرها من المعاني .

٣ – أن كثيرا من العلماء فسروا الطبع بالختم ، كما فسروا الختم بالطبع ، وبعضهم ساوى بينهما في المعنى ، وبعضهم ساوى بين كثير من مفردات هذا الحقل ، كالطبع والختم والمنع والران والقفل والكن وغيرها من المفردات ، وفرق بعض العلماء بين هذه المفردات ، فجعل لكل منها معنى ، وهذا ما أكده الدرس اللغوي الحديث .

٤ – أن دلالة الطبع على القلب على عدم الهداية دلالة مجازية أشار إليها كثير من العلماء ، لأنها دلالة معنوية وليست حسية .

٦ – العمى :

قال تعالى " أفلم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور [٢]" العين والميم والحرف المعتل أصل واحد يدل على ستر وتغطية ، من ذلك العمى ، ذهاب البصر من العينين كلتيهما [٣]"، ومنه العماية والعماء السحابة الكثيفة المطبقة .. والعماء: الغيم الكثيف الممطر [٤] والعمى يقال في افتقاد البصر والبصيرة ، ويقال في الأول أعمى ، وفي

---

[١] مفاتيح الغيب ١٤/ ٣٢٢.

[٢] الحج آية ٤٦.

[٣] المقاييس ٤/ ١٣٣ "عمى" .

[٤] اللسان " عمى " .

الثاني أعمى وعمٍ ، والثاني منهما مذموم، ومنه قوله تعالى: " صم بكم عمي [١]" وكلما ذكر الله جل وعز العمى في كتابه فذمه فإنما يريد عمى القلب..ورجل عم وقوم عمون من عمى القلب ، وفي هذا المعنى يقال : ما أعماه ، ولا يقال من عمى البصر ما أعماه ؛ لأنه نعت ظاهر تدركه الأبصار [٢]" وعلل الخليل لذلك بقوله : لأنه قبيح أن تقول للمشار إليه ما أعماه ، والمخاطب قد شاركك في معرفة عماه[٣]" . ورجل عم إذا كان أعمى القلب ، ورجل أعمى القلب : أي جاهل ، والعمى: ذهاب نظر القلب ، والفعل كالفعل ، والصفة كالصفة ، إلا أنه لا يبنى فعله على افعالّ ، لأنه ليس بمحسوس ، وإنما هو على المثل ، وافعالّ إنما هو للمحسوس في اللون والعاهة[٤]" .

لقد فسر بعض المفسرين العمى بالجهل ، يقول الرازي :" ويسمى الجهل بالعمى لأن الجاهل لكونه متحيرا يشبه الأعمى [٥]". كما نبه بعض العلماء على أن المعنى في عمى القلب مجازي، جاء عن طريق الاستعارة ، يقول الفيومي: "ويستعار العمى للقلب كناية عن الضلالة ، والعلاقة عدم الاهتداء وهو عمٍ وأعمى القلب [٦]".

---

[١] المفردات ص ٣٥١ بتصرف يسير.

[٢] العين ٢/ ٦٦ "عمى".

[٣] المقاييس ٤ /١٣٣ "عمى".

[٤] اللسان "عمى" ، وانظر اللسان "عمى".

[٥] مفاتيح الغيب ٢٣٣/٣.

[٦] المصباح المنير ص ٤٣١.

إن سياق الآية وما ينتظمها من كلمات ، وموقع كل كلمة فيها ينبئ عن عدة حقائق مهمة، أولها: أن العقل في القلب، وهذا ما أكده العلم الحديث ، حيث أشار إلى أن مركز التعقل في القلب .

وأنه هو الذي يعطى إشارات إلى المخ ، وقد تنبه لذلك ابن عاشور، فقال هذه الآية تقتضي أن العقل في القلب ، وذلك هو الحق ، ولا ينكر أن للدماغ اتصالا بالقلب يوجب فساد العقل متى اختل الدماغ [١] .

ثانيا : أن القلب محله الصدر ، وقد أكدت ذلك الآية الكريمة ، حيث نبهت على أن القلوب المتصفة بهذه الصفة القلوب التي في الصدور ، وعلل الرازي ذلك بقوله :" مع أن كل أحد يعلم أن القلب لا يكون إلا في الصدر إلا أن القرآن قد أثبته لغرض، وهو أن المتعارف أن العمى مكانه الحدقة، فلما أريد إثباته للقلب – على خلاف المتعارف احتيج إلى زيادة بيان ، كما تقول : ليس المضاء للسيف ، ولكنه للسانك الذي بين فكيك.[٢]"

ثالثا : أن العمى الذي يتبادر للذهن لأول وهلة ، هو عمى العين ، لكن الله عز وجل يلفت النظر إلى نوع آخر من العمى ، جعله العمى الحقيقي ، ألا هو عمى القلب ، فليس الخلل في مشاعرهم ، وإنما في عقولهم باتباع الهوى والانهماك في الغفلة [٣]، وهذا ما عبر عنه ابن كثير

---

[١] التحرير والتنوير ٤/ ١٢٧، وانظر ١٧/ ٢٨٨.

[٢] مفاتيح الغيب ٣/ ٢٣٣ ، وانظر الكشاف ٣/ ٢٣٠.

[٣] ينظر أنوار التنزيل ٤/ ٧٤ ، وإرشاد العقل السليم ٦/ ١١١.

بقوله :" ليس العمى عمى البصر ، وإنما العمى عمى البصيرة ، وإن كانت القوة الباصرة سليمة فإنها لا تنفذ إلى العبر، ولا تدرى ما الخبر [١]" .

وإذا كانت دلالة المادة في الأصل هي الستر والتغطية، وكان العمى المحسوس هو الغلق على العين حتى لاترى،فإن عمى القلب غلق أيضا،حيث لا يرى صاحبه ما ينفعه ويفيده،بل يضرب عليه فلا يرى خيرا أو رشدا،أو توفيقا.

يتضح مما سبق ما يلي:

١-المادة تدور حول الستر والتغطية، ومنه عمى العين، والعماية والعماء ، للسحاب والغيم الكثيفين، وكلها دلالة محسوسة ، ومنه عمى القلب، وهي دلالة معنوية .

٢-أن العمى يطلق ويراد منه عدة معان ، منها الجهل ، وقيل : ذهاب نظر القلب ، وقيل: كناية عن الغفلة واتباع الهوى .

٣-أن دلالة الكلمة على العمى القلبي دلالة مجازية، أشار بعض العلماء إلى أنها جاءت عن طريق الاستعارة، حيث شبه القلب بالعين، والعلاقة عدم الاهتداء.

٤ – أن العمى في البصيرة جاء في القرآن على سبيل الذم ، وقد ورد في آيات عديدة، ويقال من هذا النوع ما أعماه ، أما عمى العين فلا يقال منه ذلك.

٧ ــ الغلف :

---

[١] تفسير القرآن العظيم٣ / ٢٢٧ ، وانظر الكشاف ٣/٢٣٠ .

قال تعالى :" وقالوا قلوبنا غلف بل لعنهم الله بكفرهم فقليلا ما يؤمنون"[١].

الغين واللام والفاء كلمة واحدة صحيحة تدل على غشاوة وغشيان شيء لشيء [٢]، ومنه غلاف السيف والسكين والقارورة وغيرها ،" وقلب أغلف ، كأنما غشي غلافا ، فلا يعى شيئا[٣]" .

والغلاف : الصوان ، وما اشتمل على الشيء كقميص القلب .. وغلف القارورة وغيرها وأغلفها وغلَّفها : أدخلها في غلاف ، أو جعل لها غلافا [٤]، وفي صفته صلى الله عليه وسلم "يفتح قلوبا غُلفا" أي : مغشاة مغطاة [٥]" .

وقوله تعالى: " قلوبنا غلف" قال ابن عباس: أي في غطاء ، ونسب إليه أيضا " في أكنة " كما نسب إليه أنها القلوب المطبوع عليها ، ونسب إلى مجاهد أنها عليها غشاوة " وقال قتادة : معناها : لا تفقه ، وقيل عليها طابع ، وقال السدي : عليها غلاف ، وهو الغطاء [٦]، وعلى هذا الرأي سار صاحب أنوار التنزيل: حيث قال :" وقالوا قلوبنا غلف: مغشاة

---

[١] البقرة آية ٨٨.

[٢] المقاييس٢/ ٩٥٨.

[٣] العين٤/ ٢١٩ ، وانظر اللسان "غلف".

[٤] اللسان "غلف" ، والتاج ٢٤/ ٢٢٤.

[٥] السابقان "غلف" .

[٦] انظر جامع البيان للطبرى ٢ / ٣٢٤ وما بعدها .

بأغطية خلقية لا يصل إليها ما جئت به ولا تفقه [١]" ثم جعلها من قبيل الاستعارة فقال :" مستعار من الأغلف ، الذي لم يختن [٢]" ، وهي استعارة معقول من محسوس ، وجعل الراغب الأغلف كناية عن الأقلف [٣]، وهو الذي لم يختن ، يقال له أغلف وأقلف ، لقد مال ابن القيم إلى ما ذهب إليه ابن عباس وقتادة ، فقال :" وقال ابن عباس وقتادة على قلوبنا غشاوة ، فهي في أوعية ، فلا تعي ولا تفقه ما تقول " ثم قال : وهذا هو الصواب في معنى الآية ، لتكرر نظائره في القرآن ، كقولهم " قلوبنا في أكنة [٤]"، وقوله تعالى :" كانت أعينهم في غطاء عن ذكري [٥]"، ونظائر ذلك"، وجعلها الزمخشري خلقة وجبلة مغشاة بأغطية لا يتوصل إليها ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم ولا تفقهه ". ثم أشار إلى أن المعنى جاء عن طريق الاستعارة ، فقال :" مستعار من الأغلف الذي لم يختن [٦]".

وقرأها أبو عمرو "غُلُف" بضمتين، جمع غلاف ، أي قلوبنا أوعية للعلم ، وقد رفضها كثير من العلماء، يقول ابن القيم :" وأما قول من قال: هي أوعية للحكمة ، فليس في اللفظ ما يدل عليه البتة ، وليس له في

---

[١] أنوار التنزيل وأسرار التأويل ١ / ٩٣.

[٢] المفردات ص ٣٦٦ .

[٣] التفسير القيم ص ١٢٩.

[٤] فصلت آية ٥ .

[٥] الكهف آية ١٠١.

[٦] الكشاف ١ / ١٥١.

القرآن نظير يحمل عليه ، ولا يقال مثل هذا اللفظ في مدح الإنسان نفسه بالعلم والحكمة [١]".

مما سبق يتضح ما يلي:

١-أن المادة تدور حول غشيان شيء لشيء، ومنه سيف أغلف ، وقوس أغلف ، ورجل أغلف ، وكل شيء في غلاف فهو أغلف.

٢-أن كلمة الغلف بسكون اللام تعددت معانيها من خلال السياق، فقيل في غطاء، وقيل في أكنة، وقيل: عليها غشاوة، وقيل: لا تعي ولا تفقه، وقيل: عليها طابع، وقيل: عليها غلاف وكثير من هذه المعاني ذكرها ابن عباس وتلاميذه، وهي معان متقاربة تدل في معناها العام على حجب القلب عن تلقي إشراقات الإيمان .

٣-أن دلالة الكلمة في الآية دلالة مجازية ، طريقها الاستعارة – كما أشار بعض العلماء – أو الكناية كما أشار البعض الآخر، وهي دلالة معنوية أخذت من دلالة حسية .

٤-ذهب بعض العلماء إلى معنى جديد للكلمة، استنبطوه من قراءة أبي عمرو "غلف" بضم اللام، جمع غلاف ، ومعناها أوعية للعلم، وقد استبعده كثير من العلماء ، لعدم وجود نصوص من القرآن ترشح هذا المعنى ، في مقابل وجود نصوص ترشح المعنى الآخر ، وقد سبق الكلام في ذلك .

٨ – الإقفال.

---

[١] التفسير القيم ص ١٢٩، وانظر معاني القرآن وإعرابه ١٤٣/١، والكشاف ١٥١/١.

قال تعالى :" أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها [١]"

القاف والفاء واللام أصلان صحيحان، يدل أحدهما على أوبة من سفر، والآخر على صلابة وشدة في شيء، فالأول القفول، وهو الرجوع من السفر .. وأما الأصل الآخر، فالقُفيل ، وهو الخشب اليابس، ومنه قفل ، سمي بذلك لأن فيه شدا وشدة ، يقال أقفلت الباب فهو مقفل [٢]" يقول الزبيدي :" القفل : الحديد الذي يغلق به الباب ، مما ليس بكثيف ونحوه ، جمعه أقفال وأقفل بضم الفاء ، وبه قرأ بعضهم " أم على قلوب أَقْفُلُها [٣]" ، وأصل القفل: اليُبُس والصلابة " فيقال لما يبس من الشجر القفل [٤]".

" وفي حديث عمر أنه قال: "أربع مقفلات: النذر والطلاق والعتاق والنكاح ، أي لا مخرج منهن لقائلهن ، كأن عليهن أقفال ، فمتى جرى بهن اللسان وجب بهن الحكم [٥]"، وتعدى الأمر ذلك ليكون كل مانع للإنسان من فعل شيء قُفْلًا ، فيقال فلان مُقْفَلٌ عن كذا [٦].

---

[١] القتال آية ٢٤ .

[٢] المقاييس ١١٢/٥.

[٣] تاج العروس ٢٦٥/٣٠ ، وانظر اللسان " قفل"، وقد ذكر هذه القراءة أبو حيان في البحر ٨٢/٨.

[٤] الجامع لأحكام القرآن ٢٤٦/١٦.

[٥] اللسان " قفل " .

[٦] انظر المفردات ص ٤١٠ .

وقوله تعالى :" أم على قلوب أقفالها " قال ابن عطية " استعارة للرين الذي منعهم الإيمان [١]" وقال ابن عباس :" يريد على قلوب هؤلاء أقفال ، وفسرها مقاتل بالطبع [٢].

لقد شبه أحدهم القلب بالباب المرتج الذي ضرب عليه بالقفل ؛ لأنه لما كان الباب لا يفتح إلا بفتح القفل للوصول إلى الداخل ، فكذلك القلب لا يدخل إليه إيمان أو قرآن إلا برفع الختم عنه [٣].

لقد اكتسب اللفظ معناه عن طريق المجاز ، فالأقفال : جمع قفل ، وقد أشار ابن عاشور إلى مجازية المعنى بقوله :" وهو استعارة مكنية ، إذ شبهت القلوب في عدم إدراكها المعاني بالأبواب أو الصناديق المغلقة، والأقفال تخييل كالأظفار للمنية في قول أبى ذؤيب[الكامل]:

وإذا المنية أنشبت أظفارها ☆☆☆ ألفيت كل تميمة لا تنفع[٤]

وألمح القرطبي إلى ذلك بقوله :" فالأقفال هاهنا – إشارة إلى ارتتاج القلب وخلوه عن الإيمان ، أي لا يدخل قلوبهم الإيمان ولا يخرج منها الكفر ؛ لأن الله تعالى طبع على قلوبهم [٥]" .

---

[١] المحرر الوجيز ١١٩/٥

[٢] التفسير القيم ص ٣٦٠ .

[٣] ينظر السابق الصفحة ذاتها.

[٤] التحرير والتنوير ١١٤/٢٦، البيت من قصيدته المشهورة في رثاء أبنائه – ديوان الهذليين – طبعة دار الكتب المصرية– الطبعة الثانية– ١٩٩٥م.

[٥] الجامع لأحكام القرآن ٢٤٦/١٦.

إن المتأمل لنسق الكلمات في الآية يرى أن القلوب جاءت منكرة والأقفال جاءت معرفة بالإضافة ولا يخرج ذلك عن غرض بلاغي يخدم المعنى ويرشحه ، فتنكير القلوب إما للدلالة على قسوتها وإبهام أمرها، أو للدلالة على بعض القلوب فقط ، وهي قلوب المنافقين [١]، أو لفرط جهالتها ونكرها ، كأنها مبهمة منكورة [٢].

أما إضافة الأقفال فللدلالة على أنها أقفال مختصة بها ، وهي أقفال الكفر التي استغلقت فلا تنفتح [٣].

يتضح مما سبق أن من دلالة المادة على اليبس والصلابة يأتي القفل، وهو قطعة من الحديد يغلق بها الباب ، ثم تستخدم بعد ذلك في كل أمر غير ممكن ، أو يصعب فعله، فيقال هذا أمر مُقْفَلٌ، أي مستحيل، أو صعب، أو غير ممكن.

. كما يتبين أن اللفظ له دلالات متعددة نص عليها العلماء من خلال السياق فجعله بعضهم استعارة للرين ، وفسرها مقاتل بالطبع ، وبعضهم بالختم وكلها معان تنبئ عن سد وصد في القلب يمنع دخول الخير إليه أو خروج الشر منه ، يسمى بالرين أو الطبع أو الختم على سبيل التقريب .

. يلعب المجاز دورا مهما في إيجاد هذه الدلالة ، حيث نص بعضهم على أن الاستعارة المكنية هي طريق المجاز في هذه الدلالة، أو أن الكناية

---

[١] ينظر الكشاف ٢٢/٤ ، ومفاتيح الغيب ٥٦/٢٨.

[٢] أنوار التنزيل وأسرار التأويل ١٣/١٣ .

[٣] الكشاف ٢٢/٤ بتصرف يسير، وأنوار التنزيل ١٣/١٣.

هنا هي التي قامت بهذا الدور ، فالأقفال على القلوب كناية عن هذا الغلق للقلب وعدم انشراحه بالإيمان .

. إن تنكير القلوب في الآية يرشح المعنى ويقويه ، فهي قلوب مبهمة ، منكرة ، قاسية ، لا يدخلها خير ولا يخرج منها شر . كما أن الإضافة في الأقفال ترشحها أيضا لأنها أقفال خاصة تستغلق فلا تنفتح.

٩ ــ الأكِنّة :

قال تعالى :" ومنهم من يستمع إليك وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقرا [١]" وقال سبحانه :" وجعلنا على قلوبهم أكنة وفي آذانهم وقرا [٢]"

وقال تعالى:" إنا جعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقرا وإن تدعهم إلى الهدى فلن يهتدوا إذا أبدا [٣]" وقال سبحانه :" وقالوا قلوبنا في أكنة مما تدعونا إليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب فاعمل إننا عاملون[٤]".

---

[١] الأنعام آية ٢٥.

[٢] الإسراء آية ٤٦.

[٣] الكهف آية ٥٧.

[٤] فصلت آية٥.

"**الكِنُّ : كل شيء وقى شيئا فهو كنه وكنانه . كننته أُكنه كنا : جعلته في كِنٍّ** [١]" **والكِنُّ والكِنَّةُ والكِنَانُ : وقاء كل شيء وستره ، والكِنُّ : البيت ، والجمع أكنان وأكنة**" [٢].

"**وكَنَّهُ يكنُهُّ كَناً وكُنُونًا وَأَكَنَّهُ وكَنَّنَهُ – بالتشديد ، واكتنه : أي ستره**[٣]"

.

والمادة بجميع مشتقاتها تدور حول هذا المعنى، يقول ابن فارس:" الكاف والنون أصل واحد يدل على ستر وصون، يقال: كننت الشيء في كنه : إذا جعلته فيه وصنته وأكننت الشيء : أخفيته[٤]".

فابن فارس يفرق بين كنه، وأكنه ، فالأول صانه وحفظه، والثاني أخفاه، وبمثل قوله قال ابن القيم:[٥].

لكن الراغب فرق بينهما بشيء آخر، فجعل الثلاثي للدلالة على ما يستر ببيت أو ثوب ، وغير ذلك من الأجسام، والرباعي "أكننت" بما يستر في النفس ، وجعل من الأول قوله تعالى: " كأنهن بيض مكنون" [٦] ، وقوله تعالى : " كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَكْنُونٌ "[٧] ، ومن الثاني قوله: "أو أكننتم في

---

[١] العين٥/٢٨١ "كنن".

[٢] اللسان "كنن".

[٣] تاج العروس ٣٦ /٦٣ "كنن".

[٤] المقاييس٥/ ١٢٣ "كنن".

[٥] التفسير القيم ص ٢٩٠.

[٦] الصافات آية ٤٩.

[٧] الصافات آية ٤٩.

أنفسكم [١]". لكن أبا زيد جعلهما بمعنى في الكن وفي النفس جميعا [٢]" وهما لغتان في الستر والإخفاء [٣] وقوله تعالى: " وقالوا قلوبنا في أكنة"، وكذلك " إنا جعلنا على قلوبهم أكنة " أي: غطاء عن تفهم ما توردة علينا ، فكأنهم لتأبي قلوبهم عن قبول الحق قد جعلوها في غلف وأغطية تمنع نفوذ هذا الحق إليها[٤]، يقول مجاهد والسدي: في أكنة أي عليها أغطية كالجعبة للنبل[٥].

ويرى الرازي أن الأكنة: ما وقى شيئا وستره [٦].

إن دلالة اللفظ على معناه دلالة مجازية، جاءت عن طريق الاستعارة، حيث شبه معنويا بحسي ، فكأنها من الكنانة ، وهي الجعبة التي تحفظ فيها السهام ، أشار إلى هذه الاستعارة ابن عطية في محرره[٧]، وابن عاشور في تحريره ، حيث قال :" وهي هنا تخييل ، لأنها شبهت قلوبهم في عدم خلوص الحق إليها بأشياء محجوبة عن شيء، وأثبت لها الأكنة تخييلا ، وليس في قلب أحدهم شيء يشبه الكنان[٨]".

---

[١] الطور ٢٤.

[٢] اللسان "كنن " .

[٣] سورة الواقعة آية ٧٨.

[٤] ينظر الكشاف ٤/ ١٠٢.

[٥] جامع البيان ٢١/ ٤٢٩ ، ١١ / ٣٠٥.

[٦] مفاتيح الغيب ١٢/ ٥٠٤.

[٧] انظر المحرر الوجيز ٣/ ٤٦٠ .

[٨] التحرير والتنوير ٧ / ١٧٩.

مما سبق يتضح ما يلي :

١-أن المادة تدور حول معنى الستر والحفظ و الصيانة ، ومنه الكنانة ، وهي جعبة السهام ، والكن : البيت ، والشيء المكنون: أي المحفوظ ، ومنه قوله تعالى :"في كتاب مكنون"[١].

٢-أن اللفظة في سياقها فسرت بعدة معان ، فقوله تعالى :" وجعلنا على قلوبهم أكنة " قيل : أغطية ، وقيل : في غلف تمنع من نفوذ الحق، وقيل : ما يجمع الشيء ويضمه ويحول بينه وبين غيره .

٣ – أن دلالة الكلمة على المعنى دلالة مجازية جاءت عن طريق الاستعارة التخييلية ، وهذا يؤكد لنا ما سبق في الألفاظ الأخرى من الأثر الكبير للمجاز في التطور الدلالي بصفة عامة وفي دلالة الألفاظ الخاصة بأمراض القلب في القرآن بصفة خاصة .

٤ – أن الدلالة الأصلية للمادة دلالة حسية ، ثم تأتي الدلالات المعنوية تالية عن طريق التشبيه أو المجاز ، أو التعميم والتخصيص أو غير ذلك .

تعقيب

١ – بلغت مفردات هذا الحقل تسعة ألفاظ ، تدور كلها حول الغلق، وتتفاوت نسبة هذا الغلق ، وهذه الألفاظ وإن كانت تنضوي تحت المعنى العام لحقل أمراض القلب ، إلا أنها أمراض من نوع خاص .

---

[١] التحرير والتنوير ٧ / ١٧٩.

٢ – أن الألفاظ التي حواها هذا الحقل يدل كل منها على عدة معان ، مما يدخلها في إطار المشترك اللغوي، وقد تفاوتت هذه الألفاظ في عدد المعانى التي يدل عليها كل لفظ قلة وكثرة .

٣ – أن مفردات هذا الحقل وإن كانت تدخل ضمن حقل يدل عليها ينتظمها في معنى عام إلا أن العلماء قد أثبتوا بينها فروقا دقيقة ، فهناك فرق بين الطبع والختم والران والغلق والإقفال والكن والشد ، وإن تجاوزوا في تفسير بعضها بالبعض الآخر .

٤ – يلعب المجاز دورا كبيرا في اللغة بصفة عامة ، وفي دلالة مفردات هذا الحقل على معانيه بصفة خاصة ، وقد تنوعت طرق هذا المجاز ما بين استعارة وكناية ومجاز مرسل ، فضلا عن التشبيه؛ فالعمى والإقفال والغلق والطبع والختم والران كلها تحتوي على معان مجازية متنوعة سبق التنبيه عليها.

٥ – هناك رباط وثيق بين الدلالة الأصلية للمادة وبين المعاني التي يدل عليها كل لفظ من هذه الألفاظ ، وكذلك بين هذه الألفاظ ومفردات كل مادة من هذه المواد .

٦ – أن الدلالة الغالبة على هذه الألفاظ دلالة معنوية ، وأنها قد اكتسبت هذه المعاني عن طريق الدلالات الحسية التي سبقتها في ذلك ، وهذا ربما يؤكد لنا أن الدلالات الأصلية للمواد دلالات حسية تتناسب مع عقلية المتكلمين بهذه اللغة وما يعتريها من تغير وتطور .

٧– تبين من خلال التحليل أن هناك مجموعة من العلاقات الدلالية التي تربط بين مفردات هذا الحقل؛ كالعموم والخصوص مثلا، فالطبع ـ كما

يرى الراغب ـ أعم من الختم وأخص من النقش، وكذلك علاقة الترادف بمعناه العام بين الران والغلق والكن والختم والطب؛ فكلها تدل على الستر والتغطية والغشاوة.

الحقل الثالث : الخوف.

الخاء والواو والفاء أصل واحد، يدل على الذعر والفزع، تقول منه خاف يخاف خوفا وتخوفا: فزع [١] ، " ومنه التخويف والإخافة والتخوف والنعت خائف ... وهو الفزع. [٢]"

والخيفة : الخوف، وفي التنزيل " واذكر ربك في نفسك تضرعا وخيفة[٣]" " وقيل : هي الحالة التي عليها الإنسان من الخوف .. والتخوف : ظهور الخوف من الإنسان" [٤].

" والخوف: توقع مكروه عن أمارة مظنونة، أو معلومة، كما أن الرجاء والطمع توقع محبوب عن أمارة مظنونة أو معلومة ، ويضاد الخوف : الأمن، ويستعمل ذلك في الأمور الدنيوية والأخروية [٥]" وقيل :" الخوف توقع مكروه أو فوت محبوب [٦] "وكان الأولى أن يقال، والحذر من فوت محبوب ، ومن الباب "حديث عمر – رضي الله عنه– نعم المرء صهيب، لو لم يخف الله لم يعصه " أراد أنه إنما يطيع الله حبا له، لا خوف عقابه،

---

[١] المقاييس من ٢/٢٣٠، وانظر التهذيب ٧/٥٩٢ "خوف" ، واللسان "خوف" ، والمصباح ص ١٨٤ "خوف".

[٢] التهذيب ٧/٥٩٣ "خوف".

[٣] اللسان "خوف" والأعراف آية ٢٠٥.

[٤] المفردات ص ١٦٦، ١٦٧.

[٥] السابق ص ١٦٦.

[٦] التوقيف على مهمات التعريف ص ١٦١.

فلو لم يكن عقاب يخافه ما عصى الله [١]" وقد وردت ألفاظ الخوف في القرآن الكريم متنوعة، منها الخوف الدنيوي ، ومنها الخوف الأخروي فمن الأول قوله تعالى على لسان موسى وهارون: " قالا ربنا إننا نخاف أن يفرط علينا أو أن يطغى [٢] "، وقوله تعالى: "وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى[٣]"، وقوله: "وإن خفتم شقاق بينهما" [٤] ، ومن الثاني " ويرجون رحمته ويخافون عذابه [٥]" ، وقوله: " تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا [٦]" وقوله:" واذكر ربك في نفسك تضرعا وخيفة [٧]" .

ويطلق الخوف أيضا على القتل والقتال، استنباطا من قوله: "ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع [٨]" ، وقوله تعالى: " وإذا جاءهم أمر من الأمن الأمن أو الخوف أذاعوا به [٩]" ويرى بعضهم أن الخوف يأتي أيضا بمعنى

---

[١] النهاية لابن الأثير ٨٣/٢ ، وانظر اللسان "خوف".

[٢] طه آية ٤٥.

[٣] النساء آية ٣ .

[٤] النساء آية ٣٥.

[٥] الإسراء آية ٥٧.

[٦] السجد آية ١٦ .

[٧] الأعراف آية ٢٠٥.

[٨] البقرة آية ١٥٥ .

[٩] النساء آية ٨٣.

العلم ، واستشهد على ذلك بقوله تعالى: "فمن خاف من مُوصٍ جنفا أو إثما[١]" وإن امرأة خافت من بعلها نشوزا أو إعراضا [٢]".

يتبين مما سبق أن المادة تدور حول الذعر والفزع من توقع مكروه أو الحذر من فوت محبوب، كما تبين أن لفظة الخوف من الألفاظ المشتركة ، فهي تدل من خلال السياق على الفزع والذعر، كما تدل على القتال والقتل ، كما تدل على العلم وإن كان الأخيران يأتيان على سبيل التجوز ، لأن القتال فيه خوف شديد لما ينجم عنه من قتل وجرح وتدمير، أما خوف المرأة أو خوف الموصي فهو توقع لمكروه أو خيانة تحدث منه، وبالتالي فهو توجس وخوف .

والألفاظ التي تدل على بعض أمراض القلب تدخل ضمن هذا الإطار، فكلها يجمعها الدلالة على الخوف والفزع، على تفاوت بينها في الدلالة عليه، فبعضها يفوق الخوف وبعضها كأنه الخوف ، وبعضها يؤدي شدة الخوف إليه ... الخ.

فهذه الألفاظ بالترتيب هي : الرعب – الرهبة – الفراغ – الفزع – الهواء – الوجوف – الوجل.

وهي ألفاظ جاءت صفة للقلب والصدر والفؤاد، بعضها للصدر مثل الرهبة، وبعضها للقلب مثل الرعب والفزع والوجوف والوجل، وبعضها للفؤاد مثل الفراغ والهواء ، وسيأتي أيضا من خلال التحليل أنها قليلة الورود

---

[١] البقرة آية ١٨٢.

[٢] انظر اللسان "خوف" ، والنساء آية ١٢٨.

صفة للقلب في القرآن، وأنها جاءت ترسم مشاهد معينة لحال الأعداء في القتال ، وذلك كالرهبة والرعب، أو الخوف من مشاهد القيامة كالوجوف والوجل والفزع ، وبعضها لحال الأم كالفراغ...وهكذا .

التحليل

١- الرعب:

قال تعالى:" سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب بما أشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا [١]" ، وقال سبحانه: "إذ يوحي ربك إلى الملائكة أني معكم فثبتوا الذين آمنوا سألقي في قلوب الذين كفروا الرعب[٢]"، وقال أيضا: "وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب من صياصيهم وقذف في قلوبهم الرعب[٣]"، وقال عز وجل: "فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف في قلوبهم الرعب يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين. [٤]".

الرعب: "الانقطاع من امتلاء الخوف، يقال: رعبته فرعب رعبا[٥]" وهي الأصول الثلاثة التي ذكرها ابن فارس للمادة اللغوية، وهي: الخوف، والملء والقطع [٦]، فالأول الرعب: الذي هو الخوف والاسم منه الرعب ،

---

[١] آل عمران آية ١٥١ .

[٢] الأنفال آية ١٢ .

[٣] الأحزاب آية ٢٦.

[٤] الحشر آية ٢.

[٥] المفردات ص ٢٠٣ .

[٦] ينظر المقاييس ٤٠٩/٢.

بضم العين ، والأصل الثاني: سيل راعب: إذا ملأ الوادي.. والثالث قولهم للشيء المُقَطَّع مُرَعَّبٌ وللقطعة من السنام رُعبوبة [١].

وأصل الرعب الملء، وسمي الفزع والخوف رعبا؛ لأنه يملأ القلب خوفا[٢]، وفسره بعضهم بالخوف والفزع[٣]، وفسره بعضهم بالخوف فقط[٤].

فقط[٤].

وفسره ابن عاشور بشدة الخوف والفزع [٥]، كما فسره الطبري بالجزع والهلع[٦].

أما تفسير اللفظ من خلال السياق فقد قال القرطبي:" سنملأ قلوب المشركين خوفا وفزعا. [٧]"

وسماهم الشوكاني الكافرين، فقال :" فالمعنى: سنملأ قلوب الكافرين رعبا: أي خوفا وفزعا.[٨]"

---

[١] السابق ٤١٠/٢ بتصرف .

[٢] ينظر مفاتيح الغيب للرازي ٣٨٤/٩، والجامع لأحكام القرآن ٢٣٢/٤، وفتح القدير للشوكاني ٥٠٥/١.

[٣] انظر النهاية في غريب الحديث والأثر ٢١٣/٢ "رعب" ، واللسان "رعب".

[٤] ينظر الكشاف ٣٧٣/١، وإرشاد العقل السليم ٩٨/٢ ، وأنوار التنزيل ٤٢/٢ ، والمصباح المنير ص ٢٣٠ "رعب" ، وتفسير القرآن العظيم ٤٧٨/٣.

[٥] التحرير والتنوير ٧١/٢٨ ، وانظر ١٢٣/٤.

[٦] جامع البيان ٢٧٩/٧.

[٧] الجامع لأحكام القرآن ٢٣٢/٤.

[٨] فتح القدير ٥٠٥/١ .

وذكر البيضاوي السياق الخارجي، فقال:" يريد ما قذف في قلوبهم من الخوف يوم أحد حتى تركوا القتال ورجعوا من غير سبب [١]".

إن المتأمل لورود لفظ الرعب في القرآن يرى أنه ورد في سياق قتال الكفار ، أو قتال إحدى فرق اليهود ، كما في سورتي الأحزاب والحشر ، كما ورد في غير صفات القلب في قصة أصحاب الكهف " ولملئت منهم رعبا" كما يرى اللفظ حال وروده في القرآن صفة للقلب يسبقه في مرتين لفظ الإلقاء " سنلقي " في آل عمران بضمير المعظم نفسه، و"سألقى" في الأنفال ، بضمير الواحد ، وفي مرتين لفظ القذف "وقذف في قلوبهم الرعب " والقذف أشد من الإلقاء . وهو يناسب طبيعة اليهود التي جبلوا عليها من الجبن والهلع والذين قيل في حقهم "لأنتم أشد رهبة في صدورهم من الله" [٢] فالرعب متمكن منهم كما يتمكن المقذوف في الغرض.

- كما يلاحظ – من خلال ما سبق – أن الرعب لا يناسبه مجرد الخوف ، بل يتعدى ذلك إلى الفزع من شدة الخوف، أو امتلاء القلب خوفا وفزعا ، وأن المعنى – على هذا – مأخوذ من سيل راعب أي ملأ الحوض، وهو اشتقاق معنى معقول من محسوس.

---

[١] أنوار التنزيل وأسرار التأويل ٤٢/٢ ، وانظر الكشاف ٣٧٣/١.

[٢] الحشر آية ١٣.

- أكد الحديث النبوي هذا المعنى في قتال الأعداء وأنه معنى ملازم للأعداء حال قتالهم المسلمين ، فقال صلى الله عليه وسلم " نصرت بالرعب مسيرة شهر " وفسره ابن الأثير بالخوف والفزع [١].

٢- الرهبة :

قال تعالى :" لأنتم أشد رهبة في صدورهم من الله ذلك بأنهم قوم لا يفقهون[٢]"

الرهبة : الخوف والفزع ، تقول منه : رهب الشيء يرهبه رهبة ورُهبا، ورَهَبا أي خافه [٣]، وأرهبته ورهَّبْته واسترهبته : أزعجت نفسه بالإخافة [٤]. والرهبانية ، من الرهبة ، وهو الخوف ، قال ابن الأثير :" هي من رهبنة النصارى ، قال : وأصلها من الرهبة :"الخوف."[٥]

وجعلها ابن عاشور من الرَّهب : أي الخوف ، لأنه شديد الخوف من غضب الله تعالى [٦]" .

---

[١] النهاية في غريب الحديث ٢١٣/٢ .

[٢] الحشر آيه١٣.

[٣] انظر اللسان " رهب " .

[٤] أساس البلاغة ص ١٨١ .

[٥] اللسان " رهب".

[٦] التحرير والتنوير ٤٢٢/٢٢.

٣-الفراغ :

قال تعالى : وأصبح فؤاد أم موسى فارغا إن كادت لتبدي به لولا أن ربطنا على قلبها لتكون من المؤمنين [١]".

الفراغ : الخلاء، وهو خلاف الشغل ، تقول منه فرغ – كمنع – وفرغ – كسمع – وفرغ – كنصر – والثانية لغة لبنى تميم [٢]وزاد الصاغاني " فَرِغَ يَفْرُغُ " من باب تركب اللغات ، والمصدر الفروغ والفراغ [٣].

وفرَّغ المكان : أخلاه .. وتفريغ الظروف :إخلاؤها ، والفرغ : السعة والسيلان ، ومنه الفراغ ، وهو حوض من أدم واسع ضخم ، وطعنة فرغاء: واسعة يسيل دمها ، وطريق فريغ : واسع [٤].

لقد جمع ابن فارس فروع المادة تحت أصل صحيح يدل على خلو وسعة ذرع وجعل منه الفراغ : خلاف الشغل [٥].

والإفراغ: الصب، ومنه قوله تعالى: "ربنا أفرغ علينا صبرا " أي اصبب [٦]، وفي حديث الغسل " كان يفرغ على رأسه ثلاث إفراغات ، جمع إفراغة ، وهي المرة الواحدة من الإفراغ ، يقال : أفرغت الإناء إفراغا ، وفَرَّغته

---

[١] القصص آية ١٠.

[٢] ينظر المصباح المنير ص ٤٧٠ .

[٣] ينظر العين ٤٠٨/٤ والمقاييس ٤/ ٤٩٣ ، واللسان "فرغ " والتاج ٥٤٣/٢٢ "فرغ ".

[٤] اللسان " فرغ" ، وانظر المقاييس ٤٩٣/٤.

[٥] المقاييس السابق والصفحة ذاتها.

[٦] العين ٤٠٨/٤ بتصرف يسير ، وانظر المفردات للراغب ص ٣٧٩ .

تفريغا : إذا قلبت ما فيه [١]" . وكأنه من السعة ، لأن الصب يكون لغير الجامد ، فكأنه داخل في المعنى العام للمادة أيضا .

وقوله تعالى " وأصبح فؤاد أم موسى فارغا " فسره الخليل بالقلب الخالي من الصبر [٢] ، وإلى ذلك ذهب صاحبا اللسان والتاج أيضا [٣]، وقال الراغب : " أي كأنما فرغ من لُبِّها لما تداخلها من الخوف ، وقيل : فارغا من ذكره ، أي أنسيناها ذكره حتى سكنت واحتملت أن تلقيه في اليم ، وقيل : فارغا : أي خاليا إلا من ذكره، لأنه قال:" إن كادت لتبدي به لولا أن ربطنا على قلبها [٤]" . وهذه التفسيرات المختلفة تتوقف على المتعلق بالفعل ، وهل هو متعد أو لازم ، فهناك فرغت منه ، وفرغت له، وأفرغته، وفرغت إليه ، وأفرغت عليه، تقول : فرغت من الشغل ، وقوله تعالى " سنفرغ لكم أيها الثقلان " ، وأفرغت الماء ، وأفرغ إلى أضيافك ، وقوله تعالى " أفرغ علينا صبرا " ، وأفرغ على نفسه الماء : صبه ، وهكذا يتعلق الفعل بإلى ، وعلى واللام ، ومن ، كما يأتي متعديا بالهمزة .. الخ . وقد جاء اسم الفاعل " فارغا " في الآية خاليا من المتعلق لتذهب فيه النفس كل مذهب ، وتختلف الآراء في تفسيره وتحديد معناه لذلك .

---

[١] النهاية ٣٩١/٣ "فرغ " .

[٢] العين ٤٠٨/٤.

[٣] ينظر اللسان " فرغ " ، والتاج ٥٤٣/٢٢ " فرغ " .

[٤] المفردات ص ٣٧٩.

ومما قيل فيه ما روى عن ابن عباس ومجاهد و قتادة وعكرمة وسعيد بن جبير وأبي عبيدة وغيرهم " فارغا من كل شيء إلا من هم موسى ، أو إلا من ذكر موسى [١]، وهذا ما رجحه الطبري واقتصر عليه ابن كثير .

ويرى فريق آخر أنه أصبح فارغا من الوحي الذي أوحى إليها من قوله تعالى: " ولا تخافي ولا تحزني " فنسيت وخافت وحزنت [٢]، وقيل: خاليا من الحزن لثقتها بوعد الله سبحانه لها [٣]،أو لعلمها بأن فرعون قد عطف عليه وتبناه [٤] ، وقيل:"فارغا " صفرا من العقل لما سمعت بوقوعه في يد فرعون،فطار عقلها جزعا ودهشة ، وذلك نحو قوله تعالى:" وأفئدتهم هواء[٥]" أي جوف لا عقول فيها، وذلك أن القلوب مراكز العقول[٦] ونقل الرازي عن أبي مسلم قوله:" فراغ الفؤاد: هو الخوف والإشفاق ، كقوله " وأفئدتهم هواء [٧]" يؤيد ذلك قراءة فضالة محمد بن السميفع و أبي العالية العالية و ابن محيصن " فزعا "، والفاء والزاى والعين المهملة ، من الفزع : أي خائفا وجلا [٨]، وقال سعيد ابن جبير :" «والها» كادت تقول : وابناه وابناه ، من شده الجزع ، وقال مقاتل : كادت تصيح شفقة عليه من

---

[١] ينظر جامع البيان ٥٢٦/١٩ ، وابن كثير ٣٨١/٣ ، ومفاتيح الغيب ٥٨١/٢٤.

[٢] جامع البيان ٥٢٦/١٩ ، ومفاتيح الغيب ٥٨١/٢٤.

[٣] المصدران السابقان ، وأنوار التنزيل ١٧٢/٤.

[٤] الكشاف ٤٣٧/٣ ، وأنوار التنزيل ١٧٢/٤.

[٥] إبراهيم آية ٤٣.

[٦] الكشاف ٤٣٦/٣ بتصرف.

[٧] مفاتيح الغيب ٥٨١/٢٤.

[٨] فتح القدير ٢١٠/٤.

الغرق ، وقال العلاء بن الزياد : نافرا [١]"، وكله راجع إلى الخوف، فالولوه والنفور والشفقة تكون من شدة الخوف ، وهذا – في رأيي – هو الرأي الراجح لما يلي :

١– أن سياق الآية من أول قوله تعالى " وأصبح " يؤيد ذلك ، حيث تحول القلب من الاطمئنان لوعد الله " إنا رادوه إليك " إلى شدة الخوف والهلع بعد سماعها بوقوعه في يد فرعون ، وهذه طبيعة البشر ، وبخاصة إذا كانت أما تعرف مصير من يقع في يد فرعون ، والنسيان وارد ، والضعف عادة البشر .

٢ – قوله تعالى : " لولا أن ربطنا على قلبها " والربط تثبيت ، ولا يثبت إلا القلق المضطرب غير المستقر ، ويرشح ذلك ويقويه كلمة " لولا " فكأنه قال : لولا أن ربطنا على قلبها لصاحت ، ولأعلنت أمره ، وأظهرت مكنونه ، يؤكده قول سعيد بن جبير . كادت : تقول: وابناه .

٣– أن القراءة السابقة " فزعا " بالزاى والعين من الفزع تبين هذا الخوف وتفصح عنه ،والفزع : أشد الخوف ، وهو يصور حالتها ساعة علمت بوقوعه في يد عدوه وعدوها .

٤– مما يؤكد ذلك، ويؤنس أصحاب هذا الرأي الآية الأخرى التي تصور حال أهل الفزع والخوف في سورة إبراهيم " وأفئدتهم هواء " فكأنها لا تثبت في مكانها ولا تستقر على حال.

---

[١] السابق الصفحة ذاتها.

لقد أشار ابن عاشور إلى أن الفراغ في الآية مجازي ، فمعنى فراغ العقل من أمر أنه مجاز عن عدم احتواء العقل على ذلك الأمر احتواء مجازيا ، أي عدم جولان معنى ذلك الأمر في العقل أي ترك التفكير فيه، وإذ لم يذكر أن فؤاد أم موسى لماذا أصبح فارغا فاحتملت الآية معاني ترجع إلى محتملات متعلق الفراغ ما هو [١]؟

وعلى كلامه هذا يفهم أن الفؤاد مستعار في معنى العقل واللب ، وأن هذه القلوب مراكز العقول[٢] .

وأرجع ابن عاشور أقوال المفسرين إلى ناحيتين: " ناحية تؤذن بثبات أم موسى ورباطة جأشها، وناحية تؤذن بتطرق الضعف والشك إلى نفسها، فأما ما يرجع إلى الناحية الأولى فهو فراغ من الخوف والحزن .. وأما ما يرجع إلى الناحية الثانية قال ابن عطية والقرطبي عن ابن القاسم عن مالك، الفراغ هو ذهاب العقل، قال ابن عطية: هو كقوله تعالى: "وأفئدتهم هواء" أى لاعقول فيها ... وكل الأقوال الراجعة إلى هذه الناحية ترمي إلى أن أم موسى لم تكن جلدة على تنفيذ ما أمرها الله تعالى، و أن الله تداركها بوضع اليقين في نفسها [٣]".

---

[١] التحرير والتنوير ٢٠/٨٠ .

[٢] السابق الجزء ذاته، والصفحة ذاتها.

[٣] السابق ٢٠/٨١.

٤-الفزع :

قال تعالى :" ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له حتى إذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلي الكبير [١]".

الفزع :- بالتحريك - الذعر والفزع من الشيء [٢]، أو هو انقباض ونفار يعتري الإنسان من الشيء المخيف ، وهو جنس الجزع ، يقال منه فَزِعَ منه ، وفَزَعَ فَزَعًا وفَزْعًا وفِزْعًا ، وأَفزعَهُ وفزَّعَهُ : أخافه وروعه ، فهو فزع [٣].

والمادة تدل على أصلين صحيحين: أحدهما : الذعر ، والآخر الإغاثة[٤]، لكن المبرد رَدَّ الثاني إلى الأول فقال:" أصل الفزع: الخوف، ثم كني عن خروج الناس بسرعة لدفع عدو ونحوه ، إذا جاءهم بغتة ، وصار حقيقة فيه[٥]".

ويقول ابن الأثير:"الفزع: الخوف في الأصل، فوضع موضع الإغاثة والنصر ، لأن من شأنه الإغاثة والدفع عن الحريم مُرَاقِبٌ حَذِرٌ [٦]" .

ومنه حديث النبي صلى الله عليه وسلم للأنصار: "إنكم لتكثرون عند الفزع، وتقلون عند الطمع [١]". وفزع إلى القوم: استغاثهم، وفَزِعَ القوم

---

[١] سبأ آية ٢٣.

[٢] اللسان "فزع" ، وتاج العروس ٦٩٦/٢١ .

[٣] المفردات ص ٣٨١.

[٤] المقاييس ٥٠١/٤.

[٥] النهاية ٣٩٧/٣.

[٦] النهاية السابق ، واللسان "فزع" ، والتاج ٦٩٦/٢١.

وفَزَعَهُم فزعا وأفزعهم، أغاثهم[٢]،" وهو لنا مفزع: أي فزعنا إليه إذا دهمنا أمر، وهو لنا مفزعة: أي فزعنا منه ، ومن أجله فرقوا بينهم ؛ لأن المَفْزَعَ يُفْزَعُ إليه، والمَفْزَعَةُ: يُفْزَعُ منه[٣]".

والمُفَزَّع : الذي كشف عنه الفزع وأزيل، وفُزِّعَ عنه:أي كشف عنه الخوف ، وقوله تعالى:"حتى إذا فزع عن قلوبهم" عدّاه بعن؛ لأنه في معنى كشف الفزع، والتفريغ من الأضداد، يقال: فُزِّعَ: أخافه، وفُزِّعَ عنه: كشف عنه الفزع [٤].

لقد نقل الطبري عن ابن عباس وقتادة تفسير " فُزِّعَ عن قلوبهم " بقوله :" أي جلىَّ عن قلوبهم وكشف عنها الفزع ، وعن مجاهد : كشف عنها الغطاء يوم القيامة [٥].

وقيل : أزيل الفزع عنهم [٦]، أو أطير الفزع عنها وكشف [٧]. وقال قطرب: أخرج ما فيها من الفزع ، وهو الخوف [٨].

---

[١] اللسان "فزع" .

[٢] العين ١/٣٩٠ .

[٣] اللسان "فزع" ، وانظر المفردات ص ٣٨١.

[٤] التاج ٢١/٦٩٦.

[٥] جامع البيان ٢٠/٣٩٥.

[٦] مفاتيح الغيب ٢٥/٢٠٣.

[٧] المحرر الوجيز ٤/٤١٨.

[٨] فتح القدير ٤/٤٢٤.

يتضح مما سبق :

١- أن أصل المادة يدل على الذعر والفَرقَ، ومنه قوله تعالى:"لا يحزنهم الفزع الأكبر "، وقوله تعالى :﴿ الْمَلِكُ الْقَيُّومُ الْحَقُّ الْمَعَارِجِ نُوحٍ الْخَرِبِ الْمُزَّمِّلِ ﴾ [١].

٢- أن التضعيف يأتي للإزالة ، يقال فزعته : إذا أزلت فزعه ، والتفزيع : إزالة الفزع .

٣- أن الفزع والإفزاع والتفزيع من الأضداد .

٣- الهواء:

قال تعالى :" مهطعين مقنعي رؤوسهم لا يرتد إليهم طرفهم وأفئدتهم هواء[٢]"

" الهاء والواو والياء أصل صحيح يدل على خلو وسقوط . أصله الهواء بين الأرض والسماء ، سمي به لخلوه ، قالوا " وكل خال هواء[٣]" .

.

وقيل : كل فارغ هواء ، وقيل : كل فرجة بين شيئين كما بين أسفل البيت، إلى أعلاه ، وأسفل البئر إلى أعلاها [٤]." والهوى ميل النفس إلى

---

[١] النمل آية ٧٨ .

[٢] إبراهيم آية ٤٣.

[٣] المقاييس ١٥/٦ ، وانظر الصحاح للجوهرى ٢٥٣٧/٦.

[٤] التهذيب ٤٩١/٦ " هوى" ، واللسان "هوى" .

الشهوة ، ويقال ذلك للنفس المائلة إلى الشهوة ، وسمي بذلك لأنه يهوي بصاحبه في الدنيا إلى كل داهية ، وفي الآخرة إلى الهاوية [١]" . "وهويت أَهْوَى هُوِيًّا : إذا سقطت من علو إلى أسفل .. وقال أبو العباس ثعلب : أَهْوَىَ من قريب ، وأهوى من بعيد ... وأهويت له بالسيف وغيره ، وأهويت بالشيء ، وإذا أومأت به [٢]".

وقلب هواء: فارغ ، وقوله تعالى :" وأفئدتهم هواء " قيل أي متخرقة لا تعي شيئا من الخوف ، وقيل : خالية ، وقيل : لا عقول لهم ، وقيل : نزعت أفئدتهم من أجوافهم ، وقيل : لا عقول لهم [٣].

إن هذه المعاني للكلمة وغيرها ذكرها علماء التفسير، لقد ردها الزمخشري إلى الهواء الذي هو الخلاء الذي لم تشغله الأجرام ، فوصف به ، ويقال : فلان هواء : إذا كان جبانا لا قوة في قلبه ولا جرأة [٤]. ومن ذلك أخذ علماء التفسير المعاني التي ذكروها للفظة فالأفئدة الهواء عند ابن جريج ، الصفر من الخير ، الخاوية منه ، أو هي الجوف التي لا عقول فيها – كما ذكر أبو عبيدة– وذلك يكون يوم القيامة [٥]، وقيل : خرجت قلوبهم عن مواضعها فصارت في الحناجر ، وقيل : وأفئدتهم ذات

---

[١] المفردات ٥٢٤.

[٢] التهذيب ٤٨٨/٦ ، ٤٨٩ "هوى" ، واللسان "هوى".

[٣] ينظر التهذيب ٤٩٢/٦ والمفردات ٥٢٤ ، واللسان "هوى" ،الصحاح ٢٥٣٧/٦ "هوى".

[٤] الكشاف ٥٤٦/٢ ، وفتح القدير ١٥٢/٣.

[٥] السابق ٥٤٧/٢.

هواء ، ويؤكد ذلك قوله تعالى :" وأصبح فؤاد أم موسى فارغا [١]"، وقيل : لا تعي شيئا من شدة الخوف [٢].

ووصف الأفئدة بالهواء يأتي تصويرا للحالة التي تكون عليها هذه الأفئدة من الجبن والهلع والخوف نتيجة المشاهد التي يعيشونها يوم القيامة ، والمعنى في الآية معنى مجازي ، نبه عليه الزمخشري في الأساس [٣]، ويرى بعضهم أنها قد اكتسبت معناها عن طريق التشبيه ، حيث يشبه الأفئدة التي ليس فيها خير بالبيوت الخربة ، وهذا رأي ابن عباس ومجاهد[٤] .

وجعله ابن عاشور من باب التشبيه البليغ ، أي هي كالهواء في الخلو من الإدراك من شدة الهول [٥].

في حين يرى بعضهم أن اللفظة قد اكتسبت معناها عن طريق الكناية، حيث يفسرونها بأنها غير مستقرة في مكان، حيث تردد في أجوافهم، أو خرجت من أماكنها ونشبت بالحلوق ، وهذا كله كناية عن شدة الفزع والخوف ، فكأنها هواء متحرك غير مستقر، ومما يرشح ذلك أن العرب تسمي كل أجوف خاو هواء ، ومنه قول : حسان بن ثابت [الوافر]:

ألا أبلغ أبا سفيان عني ☆☆☆ فأنت مجوف نخب هواء [١] .

---

[١] فتح التقدير ١٥٣/٣.

[٢] الجامع لأحكام القرآن ٣٧٧/٩.

[٣] أساس البلاغة ٤٨٩.

[٤] انظر المحرر الوجيز ٣٤٤/٣ .

[٥] التحرير والتنوير ٢٤٧/١٣.

وجعله أبو حيان معنى مجازيا جاء عن طريق الاستعارة ، فقال :" الهواء: مابين السماء والأرض، وهو الخلاء الذي لم تشغله الأجرام الكثيفة ، واستعير للجبان فقيل : قلب فلان هواء [٢]" .

ويفهم مما سبق :

١- أن المادة بفروعها المختلفة تدور حول معنى الخلو والسقوط ، وأن الأصل في ذلك هو الهواء الذي بين السماء والأرض ، وهو الخلاء الذي لم تشغله الأجرام ، ترد إليه المعاني الفرعية للمادة .

٢- أن العلماء قد اختلفوا في معنى اللفظة في سياقها اختلافا كبيرا ، فبعضهم فسر الأفئدة الهواء بالمتخرقة التي لا تعي شيئا، أو لا تعقل، أو الخالية من الخير، أو التي لا تستقر في مكان، أو التي غادرت أماكنها ونشبت بالحلوق .... الخ ، وكلها معان تتصل بالمعنى الأصلي ، وهو الخلو .

٣- أن اللفظة في الآية قد اكتسبت معناها عن طريق المجاز، جعله بعضهم تشبيها أو استعارة ، أو كناية ، وكلها محتملة مقبول توجيه المعنى إليها .

٤- أن دلالة اللفظ في هذا السياق على الخوف دلالة صريحة يرشحها الشعر العربي ، والقرآن الكريم ، كما في قوله تعالى: " وأصبح

---

[١] ينظر جامع البيان١٧/٣٤ ، ٣٥، والبيت في ديوانه ص ٢٠ـ طبعة دار الكتب العلميةـ شرح وتحقيق: عيد مهنا – الطبعة الثانية- ١٤١٤هـ – ١٩٩٤م.

[٢] البحر المحيط ٦ / ٤٤٤.

فؤاد أم موسى فارغا " مما يؤكد دخول هذه اللفظة بمعناها هذا في حقل الخوف .

٥- الوجوف :

قال تعالى :" قلوب يومئذ واجفة [١]".

الوَجْفُ: سرعة السير، يقال : وجف البعير يجف وجفا : خفق .. أي أسرع ، ووجف يجف وجوفا: اضطرب، ووجف القلب وجيفا: خفق.. واستوجف الحب فؤاده :ذهب به [٢].

وقوله تعالى:" قلوب يومئذ واجفة " اختلف العلماء في تفسير الوجوف هنا ، فقال الزجاج : شديدة الاضطراب ، وقال قتادة : وجفت عما عاينت ، وقال ابن الكلبي : خائفة [٣]، وبهذا فسرها ابن عباس ومجاهد أيضا [٤]، وقال الزمخشري:" شديدة الاضطراب ، والوجيب والوجيف أخوان[٥]" وذكر الطبري السبب في هذا الوجوف ، فقال :" خائفة من عظيم الهول النازل [٦]" ، وقال صاحب البحر : "ووجيف القلب يكون من الفزع والإشفاق [٧]" ،

---

[١] النازعات آية ٨ .

[٢] انظر التهذيب ٢١٣/١١ ، واللسان "وجف" ، والقاموس ٢٠٣/٣.

[٣] التهذيب ٢١٣/١١ ، واللسان "وجف" .

[٤] تفسير ابن كثير ٤٦٧/٤.

[٥] الكشاف ٥٣٨/٤ ، وأنوار التنزيل ٢٨٣/٥.

[٦] جامع البيان ١٩٢/٢٤.

[٧] البحر ٣٩٧/١٠.

وقال القرطبي :" واجفة أي خائفة وجلة، ونقل عن السدي : زائلة عن أماكنها [١]" .

وبالتأمل في هذه المعاني نرى أنها تنتهي إلى الخوف ، فالاضطراب والقلق من شدة الخوف وكذلك الفزع والإشفاق والوجل أخوات للخوف، حيث تمثل كل واحدة منها درجة من درجاته .

وبالتالي فهي ضمن حقل الخوف، يؤكد ذلك سياق الآيات السابقة واللاحقة لهذه الآية ، فتسبقها الراجفة ثم تتبعها الرادفة ، ويأتي بعدها الأبصار الخاشعة والتي يتساءل أصحابها " أئنا لمردودون في الحافرة " وهي تصور حال الكفار يوم القيامة.

واللفظة قد وردت وصفا للقلب في القرآن مرة واحدة في هذا السياق، ولم يرد شيء من مشتقات هذه المادة إلا مرة أخرى في القرآن الكريم في قوله تعالى: "فما أوجفتم عليه من خيل ولا ركاب " ، وليست قريبة من المعنى الذي معنا، ومن هنا قلَّت مشتقاتها في المعاجم بل خلت منها بعض المعاجم ، كالمقاييس ، وأساس البلاغة.

وقد نبه الزمخشري بحسه اللغوي على أنها تقترب من الوجيب في المعنى ، والوجيب يأتي بمعنى القلق والاضطراب أيضا .

٦- الوجل :

---

[١] الجامع لأحكام القرآن ١٩٦/١٩.

قال تعالى: " إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا وعلى ربهم يتوكلون[١]" ، وقال سبحانه وتعالى :" الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين على ما أصابهم والمقيمي الصلاة ومما رزقناهم ينفقون[٢] " ، وقال عز وجل:" والذين يؤتون ما أتوا وقلوبهم وجلة أنهم إلى ربهم راجعون [٣]" .

الوجل : الخوف ، تقول : وجل وجلا ، أي خاف ، وفي اللسان : الوجل : الفزع والخوف، ويرى الراغب أنه استشعار الخوف [٤]، وقد وجلت فأنت توجل ، وقد جاء في القرآن : " قالوا لا توجل [٥]" ، وهي اللغة المشهورة ، وفي المضارع لغات أخرى [٦] ، وقلوب وجلة: أي : خائفة مشفقة على نفسها ، وفي الحديث : "وعظنا رسول الله موعظه وجلت منها القلوب [٧]" .

ومعنى وجلت في قوله تعالى: "وجلت قلوبهم" قيل: فزعت، فكأنها فزعت لذكره،استعظاما له وتهيبا من جلاله وعزة سلطانه،وبطشه بالعصاة

---

[١] الأنفال آية ٢.

[٢] الحج آية ٣٥.

[٣] المؤمنون آية ٦٠.

[٤] ينظر العين ١٨٢/٦، والتهذيب١٩٠/١١، والصحاح ١٨٠/٥، ومجمل اللغة٩١٧/٤ واللسان"وجل" ، والقاموس ٦٣/٤، والمفردات ص ٥٢٨ .

[٥] الحجر آية ٥٣ .

[٦] ينظر الصحاح ١٨٠/٥ واللسان "وجل".

[٧] اللسان"وجل".

وعقابه [١]، وقيل: خافت وحذرت مخالفته[٢] وقيل : فرقت قلوبهم، وهذا رأي ابن عباس فيما أخرجه ابن أبي حاتم[٣]، وهي قراءة عبد الله بن مسعود أيضا " فرقت [٤]" ، وقال بعضهم :" الوجل : الخوف والفزع ، والمراد أن حصول الخوف من الله والفزع منه عند ذكره هو شأن المؤمنين الكاملي الإيمان المخلصين لله [٥]" .

وكذلك جعله ابن عاشور خوفا مصحوبا بفزع ، فقال :" والوجل : خوف مع فزع ، فيكون لاستعظام الموجول منه [٦]" .

وجعله بعضهم خوفا مصحوبا بقشعريرة ، فقد روى شهر بن حوشب عن أم الدرداء قولها :" إنما الوجل في القلب كاحتراق السعفة ، يا شهر ابن حوشب أما تجد قشعريرة ؛ قلت: بلى، قالت : فادع عندها، فإن الدعاء يستجاب عند ذلك[٧]" وقصرها ابن كثير على الخوف، فقال :" وجلت قلوبهم قلوبهم " أى خافت منه قلوبهم[٨]".

- مما سبق يتضح :

---

[١] الكشاف ٢/٢٣٤ بتصرف يسير.

[٢] فتح التقدير ٣/٥٩٣.

[٣] السابق ٢/٣٦٩ .

[٤] الكشاف ٢/٢٣٥.

[٥] فتح التقدير ٢/٣٦٨.

[٦] التحرير والتنوير ٩/٢٥٦ .

[٧] شعب الإيمان ١/١٠٠ ، وفتح التقدير ٢/٣٦٩.

[٨] تفسير ابن كثير ٣/٢٢١.

أن مادة الوجل قد وردت في القرآن بصيغة الماضي "وجلت" والمضارع "توجل" ، وجاءت على وزن فَعِل وصفا للقلب "قلوبهم وجلة"[١] وجاء جمعا " إنا منكم وجلون"[٢] وكلها تدل على الخوف ، وهو المعنى العام للمادة .

– تعددت معاني الكلمة داخل سياقاتها ، ففسرها بعضهم بالفرق ، وبعضهم بالخوف ، وبعضهم جمع بين الفزع والخوف ، وبعضهم جعل الخوف مصحوبا بالفزع ، وبعضهم جعله مصحوبا بالقشعريرة، وهي معان تبين هيئة الخائف، هل يصاحب خوفه فزع أو فَرَق، أو قشعريرة في الجلد !!؟

– إن الكلمة من الكلمات العزيزة في اللغة، فلذلك سأل عنها بعض التابعين – كشهر بن حوشب – حين روى عن أم الدرداء ما رواه ففسرت فيه معنى الوجل، وكذلك ما رود عن عائشة أنها قالت:" ما الوجل في قلب المؤمن إلا كضرمة السعفة، فإذا وجل أحدكم فليدع عند ذلك[٣]" ، ومنه بيت معن بن أوس المزني:

لعمرك ما أدري وإنِّي لأوجل ☆☆☆ على أينا تعدو المنية أول [٤].

---

[١] المؤمنون الآية ٦٠.

[٢] الحجر آية ٥٢.

[٣] فتح القدير ٢/٣٧٠.

(٦) أساس البلاغة ٤٩٢ ، واللسان " وجل " ، والبيت في ديوانه صـ ٩٣ـ طبعة دار الجاحظ بغداد ، صنعه الدكتور نوري حمودي القيسي وحاتم صالح الضامن طبعة ١٩٧٧م.

وقد خلت المقاييس من هذه المادة ، كما خلت من مادة "وجف" أيضا.

– أن الوجوف والوجل ، وصفان للقلب ، يدلان على الخوف ، الأول خوف من مشاهد القيامة والثاني خوف من عظمة الله وهيبته ، واللام أقوى من الفاء ، فاختاروها للمعنى القوي ، فالخوف من الله أكبر بكثير من الخوف من مشاهد القيامة عند العارفين به وهم أكمل الناس إيمانا. " أولئك هم المؤمنون حقا"[١] أما الفاء فجاءت وصفا لقلوب المشركين والكفار، والله أعلم .

تعقيب :

١– يعد هذا الحقل من أقل الحقول ألفاظا ، فقد بلغت مفرداته سبعة ألفاظ ، دارت كلها حول معنى الخوف ، على تفاوت بينها في تحديد درجته ، أو كيفيته.

٢– أشار بعض العلماء إلى دور المجاز في إكساب بعض مفردات هذا الحقل هذه المعاني من ذلك كلمتا " فارغا – هواء ".

٣– تنوع تعبير العلماء عن معنى بعض الألفاظ بداخل سياقاتها ، فالوجل عند بعضهم الفرق، وعند بعضهم الفزع والخوف ، وعند البعض الثالث الخوف والقشعريرة .. وكذلك الوجوف ، فسره بعضهم بالخوف ، وبعضهم بشدة الاضطراب ، وبعضهم بالفزع والإشفاق .

---

[١] سورة الأنفال آية:٤.

٤-خلت بعض المعاجم من بعض مفردات هذا الحقل ، فقد خلا مقاييس اللغة من " وجف – وجل " كما خلا المفردات للراغب الأصفهاني من "وجف " وكذلك أساس البلاغة للزمخشري، من مادة وجف.

ظهرت بعض العلاقات الدلالية بين بعض مفردات الحقل كعلاقة الترادف بين الرعب والرهبة والوجل حيث فسر كل منها بالخوف والفزع، وكذلك الفراغ والهواء، حيث يدل كل منهما على الاضطراب وشدة الخوف.

الخاتمة

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه ، وبعد :

فقد تم بحمد الله وتوفيقه استقراء الألفاظ الخاصة بأمراض القلب والصدر والفؤاد في القرآن الكريم وترتيبها ودراستها دراسة دلالية في ضوء نظرية الحقول الدلالية مستعينا – في ذلك – بما تركه لنا الأجداد من تراث شمل العلوم اللغوية والقرآنية مبرزا دور السياق بنوعيه – اللغوي والمقامي – في تحديد دلالة كل لفظ من ألفاظ كل حقل من هذه الحقول، والعلاقات الدلالية التي تربط بين مفردات كل حقل، وأثر المجاز في اللغة بصفة عامة، وفي الدلالة بصفة خاصة .

وقد توصل الباحث بعد رحلة طويلة مع هذه الألفاظ إلى نتائج اقتضتها هذه الدراسة أهمها ما يلي :

١– بلغت الألفاظ الخاصة بأمراض القلب والصدر والفؤاد في القرآن الكريم اثنين وأربعين لفظا ، أغلبها جاء صفة للقلب، تلاها صفات خاصة بالصدر ثم الفؤاد ، وبعضها جاء صفة للصدر والقلب كالغل مثلا ، ومع أن كلا منهما له موضعه في جسم الإنسان إلا أن بينهما عموما وخصوصا .

٢ – اقتضت طبيعة هذه الألفاظ أن تقسم إلى ثلاثة حقول،حقل خاص بأمراض القلب،وحقل خاص بالأمراض الدالة على الغلق،وحقل خاص بالأمراض الدالة على الخوف، ورغم أن الحقل العام الذي يجمعها هو المرض ، إلا أن الطبيعة التي ميزت بعض هذه الألفاظ بدلالة خاصة بها جعلنا نميل إلى هذا التقسيم.

٣- حدث تفاوت كبير بين الحقل الأول في عدد الألفاظ وبين الحقلين الأخيرين ، فبينما وصل الحقل الأول إلى ستة وعشرين لفظا ، بلغ الثاني تسعة ألفاظ ، وجاء الثالث في سبعة ألفاظ فقط .

٤- لعب المجاز دورا كبيرا في تحديد دلالة كثير من هذه الألفاظ ، وقد تنوع المجاز مابين مجاز مرسل واستعارة وكناية ، فضلا عن التشبيه ، وقد نبه كثير من العلماء على دور المجاز ونوعه في إكساب هذه الألفاظ دلالة جديدة ، وقد ظهر ذلك واضحا في معاني ألفاظ مثل : الحرج، والقسوة ، وتقطيع القلوب ، والطبع، والختم ، والإقفال وغيرها من الألفاظ .

٥- ظهر - من خلال التحليل - التقارب الشديد بين بعض الألفاظ في المعنى، فألفاظ مثل الضيق والحرج والحصر والحسرة، تتفق في معناها العام ؛ لكن لكل منها معنى خاص بها ، وكذلك الغيظ والغل والغمرة والقسوة ، مثل ذلك أيضا الطبع والختم والوجل والوجوف وغيرها .

٦- لعب السياق دورا كبيرا في تحديد معنى كثير من هذه الألفاظ ، سواء أكان سياقا لغويا ، أم سياقا مقاميا ، وقد نبه العلماء على دور السياق بنوعيه في ذلك ، من ذلك ما قاله الشوكاني في معنى " اشمأزت" " والمناسب للمقام تفسير اشمأزت بانقبضت " ويدرك ابن عاشور دور المقابلة بين ألفاظ الآية في تحديد المعنى ، " فإذا كان الاستبشار غاية الفرح ، فالاشمئزاز غاية الكراهية"، ومنه أيضا دور السياق في مثل قوله تعالى: " لأنتم أشد رهبة في صدورهم " حيث جاءت في سياق يتكلم عن صفات خاصة باليهود ، وهكذا .

٧- أشار كثير من العلماء إلى أن كثيرا من هذه الألفاظ مشتقة من أصول حسية ، فالحرج مثلا من الحرجة ، وهي الشجرة الملتفة الفروع الضيق ما بين أفرعها، والقاسية مأخوذة من الدراهم القسية ، والنفاق من النافقاء ، لليربوع، والوسوسة من الوسواس وهو صوت الحلي، أو همس الصائد ... الخ ، وهو اشتقاق معنوي من محسوس .

٨- مازالت هناك ألفاظ لغوية – منها ألفاظ تدخل ضمن هذه الدراسة – لم يجد لها العلماء تفسيرا إلا بالضد أو النقيض، فالضيق خلاف السعة ، والطهارة نقيض النجاسة ، والغلظ ضد الرقة ، والكبر نقيض الصغر ، وبعضها الآخر يفسر بمقاربه ويفسر مقاربه به، فالختم- عندهم- الطبع، والطبع: الختم، والوجل: الخوف- والفزع، والخوف: الوجل والفزع، وكذلك الوجوف ... إلخ .

٩- معظم مفردات هذا البحث قد فسرت بمعان متعددة ، وهذا حال معظم مفردات لغتنا العربية ، فالريب – مثلا – الحاجة ، والشك ، والظنة، والتهمة ، والخوف ، والزيغ : الميل ، والانحراف ، والعدول عن الشيء ... الخ ، وهذا كله يدخل في باب المشترك اللفظي ، ويقوم السياق بتحديد المعنى المراد .

١٠- كثير من هذه الألفاظ التي جاءت وصفا للقلب وردت أيضا وصفا لعضو آخر، كالسمع أو البصر أو غيرهما ، فالختم جاء صفة للسمع ، كما جاء صفة للقلب ، والزيغ جاء وصفا للبصر كما جاء وصفا للقلب ، والعمى كذلك جاء وصفا للقلب ، وكذلك جاء وصفا للبصر والقلب، والغل جاء وصفا للصدر والقلب ... وهكذا .

١١- كثير من ألفاظ هذا البحث قد وردت في القرآن الكريم بصيغ متعددة تنضوي تحت مادة لغوية واحدة ، فالضيق مثلا جاء منه " ضيق – يضيق – ضائق – ضيق" ، ومادة الكبر جاء منها " كَبُرَ – متكبر – كِبْرٌ – استكبروا – .. الخ ورغم أن المعنى العام واحد إلا أن لكل صيغة منها دلالتها الخاصة بها ، فالسياق حاكم على كل ذلك.

هذه كانت أهم النتائج التي توصل إليها البحث ، وغيرها كثير مبثوث في نهاية كل حقل أو في نهاية كل لفظ من ألفاظ البحث،والله من وراء القصد، وهو مولانا ونعم النصير،وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

والحمد لله رب العالمين

د/ أحمد ربيع

كلية اللغة العربية بالقاهرة

المصادر والمراجع

١-إحياء علوم الدين للإمام الغزالي - دار المعرفة - بيروت بدون

٢-إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (تفسير أبي السعود العمادي) الناشر دار إحياء التراث العربي بيروت بدون .

٣-أساس البلاغة لجار الله الزمخشري تحقيق الأستاذ عبد الرحيم محمود، دار المعرفة بيروت ١٤٠٢ هـ-١٩٨٢م.

٤-أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي ، تحقيق محمد عبد الرحمن المرعشلي ، دار إحياء التراث العربي بيروت طبعة أولى ١٤١٨ هـ.

٥-البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي ، تحقيق صدقي محمد جميل ، دار الفكر بيروت طبعة ١٤٢٠ هـ .

٦-بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز-المؤلف: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروز آبادي ت: ٨١٧هـ-المحقق: محمد علي النجار-الناشر: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة- عدد الأجزاء: ٦.

٧-بيان الفرق بين الصدر والقلب والفؤاد واللب المنسوب لأبي عبد الله محمد بن علي الحكيم الترمذي أعده وقابله بالأصل د/يوسف وليد مرعي ، مؤسسة آل البيت الملكية للفكر الإسلامي عمان ٢٠٠٩ م.

٨-تاج العروس من جواهر القاموس لمرتضى الزبيدي، حققه مجموعة من المحققين - دار الهداية دون تاريخ.

٩-تاج اللغة وصحاح العربية تأليف إسماعيل بن حماد الجوهري تحقيق أحمد عبد الغفور عطار دار العلم للملايين طبعه ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م.

١٠- التحرير والتنوير لابن عاشور، الدار التونسية للنشر ١٩٨٤ م.

١١- التعريفات للجرجاني ، ضبطه وصححه جماعة من العلماء ، دار الكتب العلمية بيروت طبعة أولى ١٤٠٣ هـ-١٩٨٣ م .

١٢- تفسير القرآن العظيم للإمام ابن كثير ، دار المنار للنشر والتوزيع دون .

١٣- التفسير القيم لابن القيم جمعه أويس الندوي،اعتنى به أحمد ابن شعبان أحمد ، مكتبة الصفا طبعه أولى ١٤٢٩ هـ- ٢٠٠٨م.

١٤- تهذيب اللغة لأبي منصور الأزهري ، تحقيق مجموعة من العلماء - دار الكتاب العربي ١٩٦٧م دون .

١٥- التوقيف على مهمات التعاريف للشيخ عبد الرءوف المناوي ، تحقيق الدكتور عبد الحميد صالح حمدان عالم الكتب طبعة أولى ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠م.

١٦- جامع البيان في تأويل القرآن للإمام الطبري تحقيق الشيخ أحمد محمد شاكر ، مؤسسة الرسالة طبعة أولى ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠م .

١٧- الجامع لأحكام القرآن للإمام القرطبي تحقيق أحمد البردوينى وإبراهيم أطفيش دار الكتب المصرية طبعة ثانية ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م

١٨- جمهرة اللغة لأبي بكر بن دريد تحقيق رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين ، بيروت طبعة أولى ١٩٨٧م .

١٩- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون ، للسمين الحلبي، تحقيق د/ أحمد محمد الخراط ، دار القلم ، دمشق دون.

٢٠- ديوان لبيد بن ربيعة العامري صـ ١١٤، دار المعرفة لبنان بيروت اعتنى به حمدو طماس- الطبعة الأولى - ١٤٢٥هـ ٢٠٠٤م

ديوان ليلي الأخيلية - طبعة - دار صادر- بيروت - لبنان- الطبعة الثانية- ٢٠٠٣م - ١٤٢٤هـ تحقيق وشرح واضح الصمد.

ديوان الهذليين - طبعة دار الكتب المصرية- الطبعة الثانية- ١٩٩٥م.

ديوان الأعشى شرح و تعليق د محمد محمد حسين دار النهضة العربية بيروت ١٩٧٤.

ديوان حسان بن ثابت الأنصاري - طبعة دار الكتب العلمية -شرح وتحقيق عبدأ مهنا - الطبعة الثانية - ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.

ديوان كعب بن مالك الأنصاري - دراسة وتحقيق سامي مكي العاني - منشورات مكتبة النهضة بغداد- الطبعة الأولى- ١٩٦٦م- ١٣٨٦هـ.

٢١- ديوان معن بن أوس ت ٦٣هـ طبعة دار الجاحظ بغداد صنعه الدكتور نوري حمودي القيسي وحاتم صالح الضامن طبعة ١٩٧٧م.

٢٢- ديوان الأحوص- جمع وتحقيق عادل سليمان جمال – تقديم شوقي ضيف- الناشر الخانجي – الطبعة الثانية- ١٤١١هـ – ١٩٩٠م.

٢٣- العين للخليل بن أحمد الفراهيدى، تحقيق د / مهدي الخزومي ، د / إبراهيم السامرائي ، مؤسسة الأعلمي بيروت طبعة أولى ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م.

٢٤- غرائب القرآن ورغائب الفرقان للنيسابوري ، تحقيق الشيخ زكريا عميرات ، دار الكتب العلمية طبعة أولى ١٤١٦ هـ .

٢٥- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير – محمد بن علي بن محمد الشوكاني ، مؤسسة الريان طبعه رابعة ١٤٢٨ هـ – ٢٠٠٧ م

٢٦- الفروق اللغوية ،لأبي هلال العسكري ، حققه وعلق عليه محمد إبراهيم سليم ، دار العلم والثقافة القاهرة دون.

٢٧- القاموس المحيط لمجد الدين الفيروز آبادي – دار الحديث – القاهرة ، دون.

٢٨- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل ، لأبي القاسم جار الله الزمخشري ، شرحه وضبطه يوسف الحمادي ، مكتبة مصر دون.

٢٩- الكشف والبيان عن تفسير القرآن للثعلبي ، تحقيق الإمام أبي محمد بن عاشور – دار التراث العربي – بيروت طبعة أولى ١٤٢٢هـ – ٢٠٠٢ م.

٣٠- الكليات ، لأبي البقاء الكفوي قابله وصححه د / عدنان درويش ، مؤسسة الرسالة طبعة ثانية ١٤٦٩ هـ – ١٩٩٨م.

٣١- لسان العرب لابن منظور تحقيق عبد الله الكبير وآخرين ، دار المعارف دون.

٣٢- مجمل اللغة ، لأبي الحسين أحمد بن فارس ، دراسة وتحقيق زهير عبد المحسن سلطان ، مؤسسة الرسالة طبعة أولى ١٤٠٤ هـ – ١٩٨٤م.

٣٣- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية الأندلسي ، تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد،دار الكتب العلمية طبعة أولى ١٤٢٢ هـ.

٣٤- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير تأليف أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي ، المكتبة العلمية – بيروت – دون.

٣٥- معاني القرآن لأبي زكريا يحيى بن زياد الفراء ، تحقيق أحمد يوسف نجاتى ، محمد على النجار ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٠ م.

٣٦- المعجم الوسيط ، تأليف إبراهيم مصطفى وآخرين ، مجمع اللغة العربية ١٩٦٠ م

٣٧- معجم مقاييس اللغة ،لأبي الحسين أحمد بن فارس تحقيق عبد السلام هارون – دار الجيل طبعة أولى ١٤١١ هـ – ١٩٩١م .

٣٨- معاني القرآن وإعرابه للزجاج ، شرح وتحقيق د/ عبد الجليل شلبي ، مشروع إحياء التراث الإسلامي، ١٤٢٠ هـ – ١٩٧٤م.

٣٩- مفاتيح الغيب للإمام الرازي ، دار إحياء التراث العربي – بيروت – طبعة ثالثة ١٤٢٠ هـ .

٤٠- المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني ضبطه وراجعه محمد خليل عيتانى ، دار المعرفة ، بيروت طبعة ثانية ١٤٢٠ هـ – ١٩٩٩م.

٤١- نهاية الأرب في فنون الأدب . المؤلف : شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري- دار النشر : دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان – ١٤٢٤- هـ – ٢٠٠٤ م- الطبعة : الأولى-عدد الأجزاء / ٣٣-تحقيق : مفيد قمحية وجماعة.

٤٢- النهاية في غريب الحديث والأثر للإمام مجد الدين ابن الأثير ، خرج أحاديثه وعلق عليه صلاح محمد عويضه ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، طبعة أولى ١٤١٨ هـ – ١٩٩٧ م .